

الدكتور أحمد فرنسيس ودوره في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية (1910-1968)

Dr. Ahmed Francis and his role in the national movement and the Algerian Revolution (1910-1968)

قاصري محمد السعيد*. جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)

Mohamedsaid.kasri@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /10/10 تاريخ القبول: 2025 /11/21 تاريخ النشر: 2025 /12/31

ملخص: تزخر مدينة غليزان كغيرها من المدن الجزائرية العريقة؛ بكثير من الشخصيات التاريخية والوطنية التي لعبت دورا كبيرا في النضال السياسي والدبلوماسي ضد الاستعمار الفرنسي، ونحن بصدد البحث عن هذه الشخصيات يكون قد وقع اختيارنا على الدكتور أحمد فرنسيس، الذي تخلى عن وظيفته النبيلة والمقدسة كطبيب لمعالجة المرضى، لأنه رأى أنه لا جدوى من هذه الوظيفة وغيرها تحت سلطة المستعمر الفرنسي، فلنتقل إلى الكفاح السياسي والدبلوماسي؛ وأبلى بلاء حسنا في سبيل هذه الغاية.

ولذلك جاء مقالنا هذا للتعريف بهذه الشخصية، وإبراز دورها الرئيسي في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، وإعادة الاعتبار له على غرار أقرانه المناضلين، الذين لم يرتق بعضهم إلى المرتبة التي حازها فرنسيس، لكنهم نالوا شهرة واسعة وحظوا بكتابات أكاديمية كثيرة؛ أما الإشكالية المطروحة في هذا المقال، فهي تكمن في أن أحمد فرنسيس وهو خريج المدرسة الفرنسية لم يتأثر بها؛ بقدر ما استغلها كوسيلة للنضال السياسي والتحرري، بل كان رجلا زاهدا في حياته اليومية. وفي المناصب الإدارية؛ التي كانت محل صراع وتنافس بعد الاستقلال.

بناء على المادة العلمية التي استقينها منها معلوماتنا نكون قد توصلنا إلى جملة من النتائج والحقائق؛ من أبرزها أن الدكتور أحمد فرنسيس قامه جزائرية لها وزنها في النضال التحرري، في شقه الدبلوماسي والسياسي؛ فأحمد فرنسيس يستحق أن يُعرّف بأنه رجل الدبلوماسية الجزائرية بامتياز؛ لأنه أقلب الطاولة بذكائه على المستعمر الفرنسي وانتصر عليه في معركة المفاوضات التي انتهت بحق تقرير مصير الشعب الجزائري.

كلمات مفتاحية: الدكتور أحمد فرنسيس، المفاوضات الجزائرية الفرنسية، الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، النشاط الدبلوماسي. الثورة الجزائرية. الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

Abstract:

Like other ancient Algerian cities, the city of Relizane is replete with many historical and national figures who played a major role in the political and diplomatic struggle against French colonialism. In our search for these figures, we have chosen Dr. Ahmed Francis, who abandoned his noble and sacred profession as a physician treating patients because he saw no benefit in this and other occupations under the authority of the French colonizer. He turned to political and diplomatic struggle, and performed admirably in this regard.

Therefore, this article aims to introduce this figure, highlight his pivotal role in the national movement and the Algerian revolution, and restore his reputation, along with that of his fellow activists. Some of them did not rise to the same level as Francis, but they achieved widespread fame and numerous academic publications. The problem posed in this article lies in the fact that Ahmed Francis, a graduate of the French school, was not influenced by it, but rather exploited it as a means of political and liberation struggle. He was an ascetic in his daily life and in administrative positions. Which was the subject of conflict and competition after independence

Based on the scientific material from which we drew our information, we have arrived at a number of conclusions and facts, the most prominent of which is that Dr. Ahmed Francis is an Algerian figure of considerable influence in the liberation struggle, both diplomatically and politically. Ahmed Francis deserves to be recognized as the Algerian diplomat par excellence, for he cleverly turned the tables on the French colonizer and defeated them in the battle of negotiations that resulted in the right to self-determination for the Algerian people .

Keywords: Ahmed Francis, Algerian-French negotiations, Provisional Government of the Algerian Republic , diplomatic activity, Algerian Revolution, Democratic Union of the Algerian Manifesto.

مقدمة:

يندرج هذا المقال ضمن مجال اهتمامنا بتاريخ السّير والتّراجم الجزائرية؛ ويتعلق الأمر هنا بالدكتور أحمد فرنسيس؛ أما أسباب اختيارنا لهذه الشخصية فهي تعود إلى محاولة التعريف به؛ وإبراز دوره

المحوري في كل من الحركة الوطنية والثورة الجزائرية. فمن خلال محاولتنا معرفة موقعه في الذاكرة الجزائرية مع طلبتنا في الجامعة ومن خلال المراجع التاريخية أو مذكرات قادة الثورة التي عدنا إليها، نكون قد وقفنا على شُح كبير في المعلومات المتعلقة به، و لذلك فأحمد فرنسيس-من وجهة نظرنا- لم ينل حظّه من البحث والدراسة الأكاديمية، مُقارنة مع بعض أقرانه في النضال السياسي والتحرري مثل، فرحات عباس، عبد الحميد مهري، رضا مالك...الخ.

أثناء عملية البحث عن هذه الشخصية لم نظفر بدراسات أكاديمية عدا ما كتبه الأستاذ خالد بوهند في مقاله الموسوم بمقاربة سياسية حول القيادة السياسية والعمل الجماعي بين فرحات عباس وأحمد فرنسيس 1943-1956، وما أشاد به ريغي عبد الله في كتابه الموسوم بـ أحمد فرنسيس 1910-1968 دكتور في السياسة، إضافة إلى عيّنة قليلة من الندوات والمؤتمرات التي أشار من خلالها بعض الباحثين إلى هذه الشخصية إشارات مقتضبة لم تُبرز الدور الحقيقي لهذه الشخصية والحجم الكبير لنضالها السياسي والدبلوماسي، لذلك جاء عملنا هذا في شكله التجميعي والتركيب في سياقها الأكاديمي يصب في محاولة تقديم إضافة علمية أخرى عن سيرته الذاتية ودوره في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية.

سنحاول في هذا المقال إمطة اللثام عن هذه الشخصية المنسية من زوايا متعددة، شخصية لم تترك إلى الراحة ولو للحظة واحدة منذ أن تخلى عن مهنته كطبيب وانخرط في النضال في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، فهو الذي جاب عديد الدول في كل من آسيا، أوروبا الغربية وأمريكا لكسب الدعم المادي والمعنوي للثورة الجزائرية.

إن الإشكال المطروح في هذا المقال يكمن في مايلي: على الرغم من أن الدكتور أحمد فرنسيس يُعتبر خريج المدرسة الفرنسية الاستعمارية، ويُصنّف ضمن جماعة النخبة الم فرنسة، وهو الصديق الحميم والمقرّب من فرحات عباس؛ إلا أنه لم يتأثر بأفكار ومبادئ هذه المدرسة على غرار الشريف بن حبيّس، رابح زناتي، والدكتور بن جلول؛ بل استغل ثقافته الفرنسية وكفاءته العلمية كوسيلة للدفاع عن القضية الجزائرية، كما فعل علي الحمامي، الحاج علي بوطالب العسكري وغيرهم، فإلى أي مدى نجح الدكتور أحمد فرنسيس في الدفاع عن القضية الجزائرية في ظل الغطرسة الاستعمارية ومُعوقات الكفاح التي كانت تطل هؤلاء المناضلين؟ أين تجلّى لنا دوره المحوري والأساسي في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية؟ للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها؛ وظّفنا مجموعة من مناهج البحث منها: المنهج التاريخي، المنهج التحليلي، المنهج التركيبي، والمنهج الإستنتاجي، وتبعاً لذلك ارتأينا أن تكون خطة عملنا تتكون من العناصر التالية.

1. مولده ونشأته:

ولد أحمد بن محمد فرنسيس بغيليزان يوم 12 نوفمبر 1910¹، تنحدر عائلته من مليانة؛ مع نهاية القرن 19 انتقلت إلى غليزان²، كان والده يشتغل في زراعة البواكير في حقول المستوطنين بحثا عن لقمة العيش، لكن مع مرور الوقت استغنى عن هذه العمالة، وكوّن لنفسه مستثمرة فلاحية بالشراكة مع مريد زاوية بوعبدلي فوضيل مولاي علي بن يمينه³.

ونظرا للمكانة العلمية والروحية التي كان يتمتع بها مولاي علي؛ والصدقة المتينة التي كانت تربطه بمحمد فرنسيس؛ يكون هذا الأخير قد ترك مسؤولية الإشراف على تهذيب وتربية أبنائه أحمد وشقيقه الطيب إلى مولاي علي؛ خاصة في ظل علاقة الجوار التي كانت تربط بينهما، كونهما كانا يقيمان في عمارة واحدة⁴.

2. تعلمه 1916-1934.

جرى تعلم أحمد فرنسيس عبر عدة خطوات، فمن التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي ثم الجامعي، فتعليمه في الأطوار الأولى تم بكل من مسقط رأسه غليزان، ثم وهران والجزائر العاصمة، بينما تعليمه الجامعي الذي يكون قد بدأه بالجزائر العاصمة نجده قد أتمه بفرنسا، وهذا ما يمكن الوقوف عليه ضمن العناصر التالية.

1.2. تعلمه في الأطوار الثلاثة الأولى بالجزائر.

نظرا للمسؤولية التي ألقاها محمد فرنسيس على عاتق مولاي علي فضيل في تربية أبنائه وتهذيبهم؛ لم يتوان هذا الأخير في القيام بواجبه على أكمل وجه، وما إن بلغ أحمد من العمر أربع سنوات وأربعة أشهر حتى سجّله والده في المدرسة الابتدائية للأهالي الذكور بغيليزان المشهورة باسم

¹ عبد الله، ريغي: أحمد فرنسيس 1910-1968 دكتور في السياسة، ترجمة عمار زورقي محمد، منشورات ANEP، الجزائر، 2012، ص 37.

² نفسه، ص 24. <https://www.vitaminedz.com/>

³ خالد، بوهند: "مقاربة حول القيادة السياسية والفعل الجماعي بين فرحات عباس وأحمد فرنسيس 1943-1956"، المرأة، ع 6، مخبر الدراسات المغاربية، النخب وبناء الدولة الوطنية، ديسمبر 2017، جامعة وهران 1، ص 166.

⁴ نفسه، ص 166.

ساحة المسجد¹، وما يمكن فهمه من ذلك أن مشواره التعليمي يكون قد بدأه في حدود 12 مارس 1915².

لا شك أن الأوضاع الاجتماعية التي عرفها سكان غليزان؛ لانتشار الفقر، تفشي الأمراض- التيفوس مثلا- وانعكاسات ح، ع، 1 التي ألقت بضلالها على السكان؛ تكون قد ساهمت حسب عبد الله ريغي في توجيه مساره التعليمي والسياسي منذ سنة 1922، فمساره الأول اختار من خلاله مجال الطب، لما رآه من معاناة للسكان مع الأمراض التي كانت تعصف بهم، أما مساره الثاني فيكون قد بدأه منذ صغره - 12 سنة- بلإهتمام بكل ما يدور حوله من نشاط سياسي؛ فعلى سبيل المثال حضوره للجمعية الشعبية الذي نشطه الأمير خالد بقاعة كازينو سينما بغليزان التي كان يسيرها لورو "Leroy"³. من غير المستبعد أن الأوضاع السائدة في غليزان، وما ترتب عنها من انعكاسات سلبية، تكون قد أثرت على المستوى الدراسي لأحمد فرنسيس؛ وهذا ما نلاحظه من خلال تأخره في الحصول على شهادة التعليم الابتدائي في نهاية الفصل الدراسي 21 ماي 1924. معنى ذلك أنه قضى وقتا طويلا في الطور الابتدائي، رغم كونه كان مجتهدا ومثابرا؛ والشاهد على ذلك ما وصفه به مديره ومعلمه السيد "م رينه": "تلميذ ذكي جدا وعامل، يرغب بمواصلة دراساته ثانوية وهران"⁴. ونظرا لطموحه الكبير وتفوقه الدراسي لم يتوان أحمد فرنسيس في مواصلة دراسته الثانوية؛ فانتقل إلى مدينة وهران في سنة 1924 أين التحق بثانوية "آردايون" تخصص علوم تجريبية في حدود شهر أكتوبر 1924⁵. في هذه الأثناء كانت أحداث ثورة الريف بالمغرب الأقصى بقيادة عبد الكريم الخطابي تتردد بكثرة في الأوساط الجزائرية، فلم يكن أحمد فرنسيس بمعزل عنها؛ بل ساهمت في نمو وعيه القومي وبُعده العربي-الإسلامي في ضرورة التحرر من الإستعمار الفرنسي؛ فزاده ذلك إرادة وعزيمة على النجاح في دراسته الثانوية بتفوق؛ دراسة تحصل بموجبها على شهادة البكالوريا في شهر جوان 1928⁶.

¹ عبد الله، ريغي، المرجع السابق، ص28.

² يشير عبد الله ريغي في موضع آخر من كتابه ص 40 أن مولاي علي فوضيل قد قام بتسجيل أحمد فرنسيس في هذه المدرسة في 10 ماي 1916 للعام الدراسي: 1916-1917، لكن الأرجح هو تاريخ 12 مارس 1915 م.

³ عبد الله، ريغي، المرجع السابق، ص43.

⁴ نفسه، ص44.

⁵ نفسه، ص44.

⁶ نفسه، ص46.

ونظرا لتطلعه إلى مستقبل دراسي يتماشى مع طموحاته العلمية والسياسية؛ التحق خلال شهر أكتوبر 1928 بجامعة الجزائر أين واصل دراسته في كلية الطب؛ مُتحديا في ذلك الظروف الاجتماعية التي كانت تمر بها عائلته؛ والعرف السائد آنذاك بأن الطلبة البورجوازيين هم من يلتحقون بمثل هكذا تخصصات في جامعة الجزائر، كما أشار إلى ذلك أحمد النّيال -مفكرٌ شُيوعي- عندما ذكر في أطروحته¹ -حسب ما نقله لنا "غي بريفيلي" : «ما زلنا نقول ونؤكد بأن الطالب الجزائري بورجوازي صغير»².

هذا الطرح أو بالأحرى الحكم على هذه الفئة من الطلبة الجزائريين، فنّده فرحات عباس عندما صرّح لجريدة "LE FIGARO" في تاريخ 19 أوت 1926: «فنحن في معظمنا أناس مساكين، جاءوا من دواوير، ومن عائلات متواضعة، ليصبحوا لا أدري كيف، من حملة البكالوريا...ومن الطبيعي أن تقابلنا صعوبات لم يكن رفاقنا الفرنسيون يلقونها...وبالرغم من هذا فقد توصلنا إلى أن نكون تلاميذ متوسطين...عُثرت في كشوف فصلين على ملاحظات ذات مغزى مثل: نتيجة مرضية جدا، له معارف أدبية، لا بد أن ينجح...لكن عليك أن تذهب إلى من يعيبوننا لتسمعهم هذا الكلام»³. كانت البدايات الأولى لدراسته الجامعية بجامعة الجزائر صعبة بسبب إصابته بألم غامض في ريلة إحدى ساقيه، حيث أمضى سنته الجامعية الأولى 1928-1929 تحت العناية الطبية، لكن ذلك لم يمنعه من التدرج في دراسته حيث حصل على إجازة الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا في سنة 1930، وفي سنة 1931 بلغ مستوى السنة الأولى في الطب، ثم تدرج في الطب إلى أن بلغ مستوى السنة الثالثة⁴.

في ظل وجوده بمدينة الجزائر يكون قد اطلع عن كثب على ممارسة المستعمر الفرنسي؛ وعلى مضمون اللافتات المزعجة التي رفعتها الإدارة الإستعمارية أثناء الإحتفالات الصاخبة بمئوية الإحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1930)، كما اطلع أيضا على نشاطات الحركة الوطنية التي كانت تعجّ بها المدينة، مثل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقى سنة 1931، والتجمعات والمهرجانات التي كانت تقام هنا وهناك من طرف المناضلين السياسيين؛ ممّا شجّع على المضي قدما

¹ دراسة تحليلية للحركة الطلابية الجزائرية في نوفمبر 1954

² غي، بريفيلي: النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880-1962، ترجمة، م، حاج مسعود وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص54.

³ فرحات، عباس: الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة الشاب الجزائري 1930، ترجمة أحمد منور، منشورات الجزائر للكتب، الجزائر، 2015، ص-ص78-79،

⁴ عبد الله، ريغي، المرجع السابق، ص46.

في رسم مسار نضاله وكفاحه من منظور ايمانه القوي بضرورة مقاومة الإستعمار الفرنسي بشتى الطرق والوسائل.

لذلك فأحمد فرنسيس وهو طالب جامعي كان يقظا وواعيا بكل ما يدور حوله ؛ من خلال معاشته اليومية لنشاطات الحركة الوطنية؛ وعليه فهو لم يكتف بالمشاهدة فحسب؛ بل انخرط في النشاط السياسي؛ ومن ملامح ذلك: انخراطه في مؤفى سنة 1932 في جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا (AEMNA)¹، فحظي فيها بمكانة معتبرة؛ ومن ملامح ذلك توليه منصب أمين المال في مكتب الجمعية خلال الفترة الممتدة من سنة 1932-1933، بعدما حاز على ثقة أعضاءها².

وفي سنة 1934 أصبح عضوا فعالا في لجنة الدفاع عن الحريات المسلمة بالجزائر العاصمة إلى جانب كل من بن ونيش، قدور ساطور، يوسف دمارجي، محمد علي دمارجي، وعلي فاتح سلمي، ولقد جاء تأسيس هذه اللجنة كرد فعل على مشاريع اللجنة الوزارية المشتركة للشؤون الإسلامية الرامية إلى التحكم في ممارسة الشعائر الإسلامية في الجزائر³.

لكن يبدو أن تفكير فرنسيس في مواصلة مشواره الدراسي لن يتوقف عند مجرد حصوله على الشهادة بقدر ما كان يبحث عن تكوين عالي وفعال يسمح له بالتفوق في تخصصه؛ واثبات تفوق الطالب الجزائري الذي كانت تنظر إليه السلطات الإستعمارية في الجزائر بنوع من الإزدراء والإحتقار؛ فانتقل على اثر ذلك إلى الدراسة بفرنسا. هذا ما نراه في العنصر الموالي:

2.2. انتقاله إلى فرنسا لمواصلة دراسة الجامعية 1934-1937.

نظرا لتفوقه الدائم والتميز على أقرانه في الدراسة، وفي ظل سياسة الإزدواجية القائمة على الاستقطاب والاحتواء التي كانت تقوم بها الإدارة الفرنسية في الجزائر مع هؤلاء الطلبة المتفوقين، فإن ادارة الجامعة بفرنسا سمحت له بالتسجيل ومواصلة دراسته في السنة الرابعة طب بداية من الموسم الجامعي 1934-1935، فلأكمل دراسته بشكل عادي إلى أن تُوِّج في 03 جويلية 1937 بشهادة الكفاءة التي مُنح من خلالها رتبة دكتور في الطب⁴.

¹ بوعلام، بن حمودة: الثورة الجزائرية ثورة اول نوفمبر 1954 معالمها الأساسية، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص193.

² محمد السعيد، عقيب: الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في الثورة 1955-1962، ط1، الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434هـ/2012م، ص259.

³ op-cit. ، <https://www.vitamedz.com/> الفجر: هذا المنسي الآخر...الدكتور أحمد فرنسيس

⁴ عبد الله، ريغي، المرجع السابق، ص47.

أثناء مرحلة دراسته بباريس كان على اتصال دائم بوطنه من خلال بعض الطلبة الجزائريين الوافدين إلى باريس ، ومن خلال الاطلاع على الصحف والمجلات الباريسية التي كانت تتابع تطورات وإصلاحات "بلوم فيوليت" في الجزائر.

كما قام بربط علاقات متينة ببعض الطلبة المسلمين القادمين من تونس والمغرب، لمعرفة التطورات السياسية الحاصلة في هذين البلدين، خاصة فيما تعلق منها بمسألة التجنيس الفرنسي التي كانت تشغل بال الرأي العام المغربي، فتولّد لديه كره شديد للطلبة المتجنسين بالجنسية الفرنسية سواء كانوا مغاربة أو جزائريين أو توانسة، ومما ذكره عمار نارون بهذا الخصوص-نقلا عن غي بريفييلي:- «أذكر عبارة لطالب من عمالة قسنطينة، شغوف بفرنسا بقدر ما هو عدو "للأرجل السوداء"، لقد أسرّ لي: فرنسيس- لكنه "معمر" (...) كلمة "معمر"، التي نطق بها بغضب كانت تتضمن قدرا كبيرا من الكره»¹.

لم تمنعه دراسته في فرنسا من الإنتساب أيضا إلى جمعية الطلبة المسلميين لشمال إفريقيا، فقد كان نائبا لرئيس الجمعية أحمد بومنجل خلال الفترة الممتدة من سنة 1934-1935².
3. عودته إلى الجزائر ونضاله في الحركة الوطنية 1937-1954.

1-3. المساهمة في إعداد وصياغة بيان الشعب الجزائري 1943.

يذكر يوسف بن خده أن الدكتور الأمين دباغين اقترح على فرحات عباس فكرة إعداد وثيقة تتضمن مجموعة من المطالب³؛ وتسليمها للأطراف المتحاربة، ولقد أمضى على هذه الوثيقة حوالي 30 شخصية من بينهم الدكتور دباغين، (باسم حزب الشعب الجزائري في ظل غياب مصالي الحاج)، وفرحات عباس (مسؤول الإتحاد الشعبي الجزائري)، والهادي مصطفى وأحمد فرنسيس⁴ (باسم

¹ غي، بريفييلي: المصدر السابق، ص 99.

² عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص 55.

³ اطلاق سراح المعتقلين، المساهمة في المجهود الحربي شريطة الإعتراف باستقلالنا وتكوين جيش جزائري نقاتل نحن تحت رايته الخاصة . قبلت في هذا التقرير مشاركة الجزائر في مجهود ح، ع، 2 بشرط الاعتراف باستقلال الجزائر، والسماح للوحدات الجزائرية المقاتلة برفع العلم الجزائري، بن يوسف بن خدة جذور أول نوفمبر ص 125

⁴ عبد الرحمان بن إبراهيم، بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1936-1945، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص 245.

اتحادية المنتخبين) نيابة عن الدكتور محمد الصالح بن جللول¹. وهذه الوثيقة هي التي شكّلت فيما بعد القاعدة الأساسية لما سمي ببيان الشعب الجزائري².

في ظل غطرسة الإدارة الإستعمارية الرامية إلى منع عقد أي لقاء يجمع بين زعماء الحركة الوطنية تسارعت خطى مجموعة من المناضلين وعلى رأسهم أحمد فرنسيس إلى عقد اجتماع في مكتب الأستاذ بومنجل الكائن في 2 شارع فيلار بالجزائر العاصمة³، لوضع اللمسات الأخيرة لما سمي بالجزائر أمام النزاع العالمي، الذي سيمتحوّل إلى بيان الشعب الجزائري الذي صدر في 10 فيفري 1943.

على اثر هذا التحدي قامت السلطات الإستعمارية بحملة قمع واسعة، اعتقلت بموجها مجموعة من المناضلين على رأسهم فرحات عباس، الذي فرضت عليه الإقامة الجبرية في جنوب عمالة وهران في حين خضع أقرانه إلى التضييق والمطاردة؛ مما عزز من نشاط أحمد فرنسيس ورفاقه في كتابة عرائض تطالب باطلاق سراح جميع المعتقلين⁴. ونظرا لهذا النشاط الحثيث والمتزايد أصدرت فرنسا العفو العام على جل المعتقلين السياسيين خلال شهر ديسمبر 1943.

2-3. المساهمة في تأسيس أحباب البيان والحرية 1944.

قام فرحات عباس بتأسيس أحباب البيان والحرية في شهر مارس 1944، وهو عبارة عن تيار سياسي ضم مجموعة معتبرة من المناضلين من بينهم أحمد فرنسيس؛ الذي لعب دور كبير في تنشيط وتفعيل أهداف البيان؛ بل بات مُنشطه الرئيسي؛ وهذا ما لمسناه من خلال الدعاية الكبيرة التي كان يقوم بها لصالح البيان؛ من خلال الندوات والمحاضرات والتجمعات، وبعد انتقال مقر البيان إلى الجزائر العاصمة مطلع شهر جانفي 1945 أصبح أحمد فرنسيس وفرحات عباس ينشطان جنبا إلى جنب⁵.

¹ بن يوسف، بن خدة: نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات ايفيان، تعريب لحسن زغدار، ومجل العين جبائلي، مراجعة عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص126.

² بوعلام، بن حمودة: المصدر السابق، ص95.

³ حضره كل من حسين عسلة، الدكتور محمد الأمين دباغين، من حزب الشعب، والشيخين محمد البشير الإبراهيمي ومحمد خير الدين من ج ع م ج، والدكتور عبد النور تامزالي وكذا أحمد غرسي وعبد القادر قاضي الممثلين عن المنتخبين، والدكتورين بن شريف سعدان وأحمد فرنسيس، ريغي ص57.

⁴ خالد، بوهند: المرجع السابق، ص168.

⁵ نفسه، ص168.

قبيل اندلاع مظاهرات 08 ماي 1945 انتقل أحمد فرنسيس إلى مسقط رأسه بغليزان، لإناسة وملازمة والده الذي كان على فراش الموت، ورغم هذا الظرف العائلي الصعب لم يثنه ذلك من القيام بتأسيس الفرع المحلي لأحباب البيان والحرية بغليزان يوم الأحد 04 فيفري 1945، وألقى بهذه المناسبة خطابا شرح من خلاله محتوى البيان وأهدافه، ومن أبرز ما جاء فيه : إن حركتنا نبث معتقدها في وضوح النهار ولا تقصي أحد¹.

إن المنية لم تمهل والده -محمد- ليعمر طويلا؛ ففاضت روحه إلى بارئها يوم الجمعة 9 فيفري 1945، فتقبل هذه المنية واسترجع الله تعالى في مصابه؛ وبعد الإنتهاء من مراسيم الدفن والعزاء عاد إلى الجزائر العاصمة لمواصلة نضاله في الحركة الوطنية ، ومن ملامح نشاطه المساهمة في تأسيس جريدة المساواة "EGALITE" الناطقة باسم أحباب البيان والحرية²؛ فكان له نصيب كبير في تفعيل هذه الجريدة، لا يسعنا المجال لذكره.

3-3. المشاركة في مظاهرات 08 ماي 1945.

شارك الدكتور أحمد فرنسيس في مظاهرات 08 ماي 1945 كغيره من المناضلين الفاعلين في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية، ولذلك لم يسلم من حملة الاعتقالات الواسعة التي طالتهم، حيث تم اعتقاله بسجن الحراش بالجزائر العاصمة، وحسب شهادة عبد الرحمان العقون فإن هؤلاء المعتقلين مكثوا ردها من الزمن في السجن: «وعندما تزامن وشهر رمضان تبارى الخطباء والمدرسون كل في ميدانه، فكان الأخ الكبير الشيخ السعيد صالح، والمرحوم صديقنا محمد الغسيري، وهذا العبد الضعيف يتناوبون الدروس الوعظية والإرشادية، والمرحوم الدكتور أحمد فرنسيس للدروس السياسية والطبية»³.

ويضيف عبد الله ريغي بهذا الخصوص: يتذكره رفقاء السجن لعلمه بالبيكولوجي ووسط المعتقلين المحبطين، والعلاجات التي كان يقدمها للسجناء المرضى، كان يقوم مقام الكاتب العمومي لرفقائه الأميين، وكلف من طرف ادارة السجن بمصلحة المقتصدية في سجن الحراش⁴. من غير المستبعد أن نشاط هؤلاء المعتقلين بسجن الحراش يكون قد أزعج ادارته لذلك عازمت على نقل وابعاد مجموعة معتبرة من المناضلين إلى الجنوب الوهراني ، أين ظلوا رهن التعذيب والإعتقال في معتقل القنادسة بيشار. ونظرا للتغيرات السياسية الحاصلة على المستوى الداخلي

¹ عبد الله، ريغي، المرجع السابق، ص 58.

² خالد، بوهند: المرجع السابق، ص 169.

³ عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: ج2، المصدر السابق، ص 366.

⁴ عبد الله، ريغي، المرجع السابق ، ص 60.

والخارجي، بدأت الحكومة الفرنسية في تسريح المعتقلين فوج بعد فوج، إلى أن أصدرت الجمعية التأسيسية قانون العفو الشامل يوم 09 مارس 1946، الذي أطلق بموجبه سراح جميع المعتقلين في حدود يوم 16 مارس 1946¹.

بمجرد إطلاق سراحه عاد أحمد فرنسيس إلى مسقط رأسه بغليزان، حيث زار قبر والديه وترحم عليهما²، وفكر في الإستقرار بغليزان، حيث افتتح عيادة طبية بالبناية الكائنة بشارع بيارسمار قبالة السوق المغطاة بالمدينة، لكنه لم يسخر لها الوقت الكافي، نظرا لارتباطه بالنضال السياسي؛ لذلك لم يمكث طويلا بمسقط رأسه ووجد نفسه مجبرا على العودة من جديد إلى الجزائر العاصمة؛ قصد المشاركة عن كثب في الحياة السياسية التي كانت تعج بها المدينة. فترك عيادته بغليزان لكوكبة من الأطباء الذين مارسوا نظام الإستخلاف من بينهم محمد قنيش، ومصطفى مكاسي، إلى أن قامت السلطات الإستعمارية الفرنسية باغلاقها في شهر ماي 1956³.

3-4. المساهمة في تأسيس الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) 1946.

ساهم أحمد فرنسيس رفقة مجموعة من المناضلين⁴ في حركة أحباب البيان والحرية بتأسيس حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية كبديلا لحركة أحباب البيان والحرية، في شهر مارس 1946، وخلال شهر أفريل 1946 أنشأ الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (إ.د.ب.ج)؛ وأسس جريدة ناطقة باسمه عرفت باسم جريدة الجمهورية الجزائرية "LA REPUBLIQUE Algerienne". وخلال شهر أكتوبر 1946 عين المؤتمر التأسيسي قيادة مؤقتة للإتحاد برئاسة فرحات عباس، فكان الدكتور أحمد فرنسيس من بين أعضائها الرئيسيين.

لم يقتصر نشاط أحمد فرنسيس في تبليغ رسالة الحزب إلى الجماهير بالداخل؛ بل نجده انتقل إلى فرنسا يومي 18 و 19 سبتمبر للدفاع أمام جمعية الإتحاد الفرنسي عن مشروع إ.د.ب.ج، المتعلق بالنظام الأساسي العضوي الخاص بالجزائر، كما توجه مرة أخرى رفقة كل من فرحات عباس

¹ عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: ج2، المصدر السابق 366.

² توفيت والدته خيرية أثناء اعتقاله بسجن القنادة ببشار، فلم يسعفه الحظ في حضور مراسيم دفنها وعزائها.

³ عبد الله، ريغي، المرجع السابق، ص63.

⁴ أحمد بومنجل، قدور ساطور، عبد القادر محداد، عبد الحميد بن سالم، محمد بن قداش، شريف سعدان، وبن خليل، ينظر: عبد الله ريغي، ص65.

والهادي جمام في نهاية مارس 1947 إلى باريس، للتعريف بنظام مشروع النظام الأساسي للجزائر الذي أعده إ.د.ب.ج.¹

أما نشاطه على المستوى المحلي، فهو كثير ومتعدد المشارب؛ فخلال انعقاد الندوة الوطنية للفدراليات بالبليدة من 3-5 أكتوبر 1947 تكون قد جددت ثققتها في الدكتور أحمد فرنسيس وأعيد انتخابه بصفته أميناً عاماً مساعداً للحزب في مدينة غليزان؛ ومن ملامح نشاطه ذلك الخطاب الذي ألقاه يوم 22 فيفري 1948، في الساعة السادسة مساءً بالقهى العربي التابع لعبد القادر بن كثر. خطاب استمر لمدة ساعة كاملة تناول من خلاله تاريخ بيان الشعب الجزائري. وخلال انعقاد المؤتمر الثاني للحزب بتلمسان من 16-19 سبتمبر 1949 جددت الثقة للمرة الثالثة في أحمد فرنسيس لانتخابه مساعداً للأمين العام للحزب.²

في ظل التحول الحاصل في مسار الحركة الوطنية عموماً وحركة الإتحاد الديمقراطي خصوصاً راهنت فرنسا على توظيف نوع آخر من سياسة التهدئة، ويتعلق الأمر هنا بالانتخابات؛ التي قاطعها البعض وشارك فيها البعض الآخر، ونظراً لمشاركة حزب الإتحاد الديمقراطي فيها، وددنا معرفة موقع أحمد فرنسيس منها؛ موقع يمكن إيجازه في المحطات التاريخية التالية:
- عندما أعلنت الحكومة الفرنسية عن انتخابات الجمعية التأسيسية الثانية في جوان 1946³، قام فرحات عباس بترشيح 13 عضواً من حزبه؛ حصل بموجها على 11 مقعداً، فكان من بين الفائزين في قطاع وهران: الدكتور أحمد فرنسيس.⁴

- بعد صدور دستور الجزائر في 20 سبتمبر 1947 جرت انتخابات المجلس الجزائري بهيئتين انتخابيتين وفي دورتين 4-11 أبريل 1948، فقدم الإتحاد الديمقراطي مرشحين عنه في كل الدوائر الانتخابية، ورغم القمع المسلط عليهم فاز الحزب بثماني مقاعد، منها مقعد أحمد فرنسيس بصفته ممثلاً عن الدائرة الانتخابية الرابعة عبي موسى في الهيئة الانتخابية الثانية لعمالة وهران.⁵

لم تكن معركة الانتخابات تُجد نفعا أمام غطرسة الإدارة الاستعمارية وهو ما دفع بحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى مقاطعة انتخابات المجلس النيابي المقررة في 04 و11 أبريل 1948، وتبنيها للعمل المسلح من خلال تكوين المنظمة السرية، التي تم اكتشافها مبكراً، وصاحبها عنف

¹ عبد الله، ريغي، المرجع السابق، ص66.

² نفسه، ص-ص66-67.

³ عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي، ج2، المصدر السابق، ص395.

⁴ نفسه، ص405.

⁵ خالد، بوهند: المرجع السابق، ص170.

وأرهاب كبيرين قامت به الإدارة الفرنسية تجاه أنصار هذه المنظمة، وهو ما دفع بأحمد فرنسيس كمندوب عن الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري إلى التنديد بمناخ الرعب السائد في الجزائر¹. -مشاركته في الانتخابات المحلية التي جرت في 20 و 27 مارس 1949، وهي الانتخابات العامة لعمالة وهران، الدائرة الانتخابية 19 (غليزان-مينة) لكنه انهزم فيها نتيجة دعم الإدارة الإستعمارية لمنافسه محمد بوخلوة-صيدلي ومستشار سابق². فتحصل أحمد فرنسيس مرشح الإتحاد الديمقراطي في غليزان على 25 صوتا، بينما تحصل مرشح الإدارة الإستعمارية بوخلوة على 12975 صوتا³، وهي نتيجة مزورة حتما.

أظهرت الإدارة الإستعمارية بشكل واضح وصريح ازدواجية التعامل مع المنتخبين المحليين، وهو سلوك لم يكن خافيا عن فرنسيس؛ لذلك صعد من لهجة تعامله معها لجس نبضها، فأنشأ وبالتعاون مع ثلة من المناضلين الجبهة الجزائرية لحماية واحترام الحريات أوت 1951، وهي عبارة عن ائتلاف واسع من الإصلاحيين والوطنيين والشيوعيين؛ وخلال انعقاد المجلس التأسيسي لها في العاصمة في تاريخ 05 أوت 1951 بسينما دنيا زاد، تم تعيينه باسم الحزب عضوا في أمانتها. وخلال انعقاد المؤتمر الوطني الثالث في سبتمبر 1951 في قسنطينة جددت الثقة مرة أخرى في أحمد فرنسيس⁴. وما يمكن قوله هنا هو أن فرنسيس بدأ يتشدد في خطابه تجاه الإدارة الإستعمارية، في حين حافظ فرحات عباس على لهجته السابقة.

هذا التشدد من طرف فرنسيس المقرب من فرحات عباس لم يمنع الإدارة الإستعمارية من طرح مسألة الانتخابات ومحاولة استقطاب الإتحاد الديمقراطي للمشاركة فيها مرة أخرى؛ وبعد أخذ ورد إن لم نقل جدال كبير وقع بين فرحات عباس وأحمد فرنسيس حول مسألة قبول أو رفض المشاركة فيها؛ يكون أحمد فرنسيس قد قبل -وللمرة الأخيرة- المشاركة في انتخابات المجلس الجزائري التي ستجري يوم 31 جانفي 1954، حيث مثل حزبه في الهيئة الانتخابية الثانية عن الدائرة الانتخابية الرابعة عمي موسى بعمالة وهران، واستطاع أن ينتزع فوزه في الدورة الثانية التي جرت في 04 فيفري 1954، فعينه الحزب رئيسا للهيئة البرلمانية⁵.

¹ محفوظ، قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، ج2، ترجمة أمحمد بن البار، شركة دار الأمانة، الجزائر، 2011، ص1150.

² خالد، بوهند: المرجع السابق، ص170.

³ محفوظ، قداش: المصدر السابق، ص1181.

⁴ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص68.

⁵ خالد، بوهند: المرجع السابق، ص170.

بعد هذه الجولة المارطونية من الإنتخابات التي شارك فيها الدكتور أحمد فرنسيس، وبدعم إن لم نقل باقحام من صديقه فرحات عباس، أدرك فرنسيس أنه لا جدوى منها، وأن مشاركته فيها هي محاباة لصديقه فقط، وحفاظا على الحزب من التصدع في ظل الأزمة التي كانت تعصف بح، إ، ح، د. معنى ذلك أن فرنسيس لم يكن مقتنع بشكل كبير بهذا التوجه الإنتخابي منذ البداية، وهذا ما وقفنا عليه في خطاباته العلنية التي كان يوجه من خلالها نقد لاذع لسلوكات الإدارة الاستعمارية خصوصا ما تعلق بالقمع والعنف المسلط على الشعب الجزائري، وزعماء مختلف التيارات السياسية.

يمكن القول أنه قبيل اندلاع الثورة التحريرية بدأت الهوة تتسع بين فرحات عباس وأحمد فرنسيس في رؤية كل منهما للقضية الجزائرية، ففرنسيس نجده قد بدأ يتنصل فعليا من التوجه السلمي الذي سلكه الإتحاد الديمقراطي وظل ينتظر الفرصة المناسبة لإعلان موقفه في ظل المخاض العسير الذي كانت تمر به الحركة الوطنية، مخاض رأى فيه فرنسيس أن موقعه الإنتخابي في الحزب ليس غاية بقدر ما هو وسيلة لتحقيق مطالب الشعب الجزائري في الحرية والإستقلال الوطني، وعليه فما إن لاحت بوادر الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 حتى بادر في الإلتحاق بركبها. قبل معرفة تفاصيل ذلك، بودنا أن نعرض على مبادرة فرحات عباس لحل المعضلة الجزائرية حسب رأيه- بالطرق السلمية، ومدى اقحام الدكتور أحمد فرنسيس مرة أخرى في التوسط بينه وبين الفرنسيين في اقناعهم بهذا المسار السلمي، لأن فرحات عباس كان يندد بالعنف ويرفض استعماله كوسيلة لبلوغ أهدافه النضالية،¹

ولذلك فمع اندلاع الثورة الجزائرية راح يُعرض مبادرته على السلطات الفرنسية، والتي قد تكون حسب بنقبي آخر فرصة تتوفر لديه لتغليب الحل السلمي على الحل العسكري، وأن الترخيص الذي منح له من طرف قادة جبهة التحرير لن يتم منحه له مرة أخرى، وبهذا الخصوص مهد لانجاح مهمته بارسال بومنجل ثم الدكتور فرنسيس إلى فرنسا من أجل لقاء الصحافة والأوساط السياسية، بهدف جس نبض الرأي العام الفرنسي عموما، والذين يملكون سلطة القرار بشكل خاص.²

وفي هذه الأثناء وبموافقة من عبان رمضان، توجه أحمد فرنسيس إلى باريس للقاء أحمد بومنجل المقيم هناك في منتصف جوان 1955، فصادفت زيارتهما انعقاد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلبة الجزائريين (UGEMA) يوم 08 جوان 1955 فألقى فرنسيس كلمة بالمناسبة حيا من

¹ عيسى، بنقبي: "مبادرة فرحات عباس للتوسط بين جبهة التحرير والسلطات الفرنسية، معارف، ع 23، ديسمبر 2017، السنة 12، جامعة البويرة، ص 95.

² نفسه، ص 103.

خلالها المؤتمرين بكلام مُبطن باسم جبهة التحرير الوطني. كما التقى بشخصيات سياسية ومجموعة من الصحفيين، لكنه أدرك أن الوضع لم يكن ناضجا بعد فعاد أدراجه إلى الجزائر العاصمة¹. وعلى أية حال فإن مبادرته مع السلطات الاستعمارية باءت بالفشل، مما عزز موقف الدكتور أحمد فرنسيس بالإنفصال عن نهج فرحات عباس بشكل نهائي، وعلى الرغم من نتائج زيارة فرنسيس إلى باريس، بادرفرحات عباس بنفسه بالتوجه إلى فرنسا؛ أين التقى من خلالها مع مجموعة من الوزراء والبرلمانيين وبـ " جاك سوستيل " نفسه، لكن مهمته هو الآخر باءت بالفشل نظرا للتعنت الفرنسي.

وكرر فعل على التعنت الفرنسي قام أعضاء من الإتحاد الديمقراطي من تحرير الوثيقة المشهورة بـ " اقتراح 61"، التي ستقدم في الدورة القادمة للجمعية العامة للأمم المتحدة، فكان فرنسيس عضوا في هذه اللجنة بصفته مندوبا بالمجلس الجزائري عن عمالة وهران. ولقد أحدث هذا الإقتراح دوي في أوساط الرأي العام الوطني والأجنبي وبين افلاس سياسة الإدماج التي كانت تنادي بها فرنسا².

4. دوره في الثورة الجزائرية 1954-1962.

يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله بأن أحمد فرنسيس الذي كان موجودا بالجزائر العاصمة أثناء اندلاع الثورة قد تجاوب معها، ولم يتوان في الالتحاق بجبهة التحرير الوطني، عكس صديقه ورفيق دربه فرحات عباس الذي تأخر في الانضمام إليها، وهذا بدليل أن أحمد فرنسيس قام بخطوات كبيرة لإقناع فرحات عباس بالالتحاق بالثورة، والشاهد حسب سعد الله³ دائما أن فرنسيس كان له الفضل في الترتيب لعقد بعض اللقاءات في منزله الكائن بالقبة، وفي منزل لمين خان بين أعضاء من جبهة التحرير كعبان رمضان وفرحات عباس، وهي اللقاءات التي توجت في الأخير بالتحاق عباس بالثورة في شهر أفريل 1956⁴.

ويخصوص هذه النقطة يُشير ريغي عبد الله إلى أن فرنسيس منذ ما يقارب السنة (أفريل 1955-أفريل 1956) كان يعيش حياة مزدوجة، واحدة شرعية في الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وأخرى سرية في إطار جبهة التحرير الوطني، وقصد تطبيق الحياة الأولى قام فرنسيس رفقة فرحات عباس بعدة خطوات منها، أودعوا يوم الإثنين 26 ديسمبر 1955 استقالتهما لدى رئيس المجلس الجزائري عبد القادر السايح، وتبعهم شلال من الإستقالات لمعظم أعضاء المجلس إلى أن وصل الأمر إلى

¹ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص98.

² نفسه، ص99.

³ أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2007، ص122.

⁴ بوعلام، بن حمودة: المصدر السابق، ص192.

استقالة رئيس المجلس نفسه يوم 24 مارس 1956، مما دفع الوزير المقيم العام "روبير لاكوست" في 11 أبريل 1956 إلى حل المجلس الجزائري، الذي اعتبرته جبهة التحرير الوطني انتصارا لها وللثورة.¹ ولذلك فما إن بدأت الشكوك تحوم حوله ما من طرف السلطات الإستعمارية نصحهما عبان رمضان بمغادرة الجزائر والإلتحاق بالقاهرة، فانتقلا أولا إلى سويسرا، ومنها دخلا القاهرة في أبريل 1956.² ويفيدنا أحمد توفيق المدني بهذا الخصوص: إن أحمد فرنسيس التحق بالقاهرة رفقة كل من أحمد بن بلة وفرحات عباس مساء يوم 20 أبريل 1956، وهذا لحضور فعاليات الاجتماع الذي كان مُبرمجا بالقاهرة للوفد الخارجي يوم 21 أبريل 1956، اجتماع ترأسه محمد الأمين دباغين³، وفي معرض حديثه عن وصول فرحات عباس ورفيقه فرنسيس إلى القاهرة يذكر الأستاذ خليفي عبد القادر: وبعد اللقاءات التي أجريها مع الوفد الخارجي بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث يتواجد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، تقرر عقد ندوة صحفية يوم 25 أبريل 1956 بفندق "سيميراميس" ⁴، ندوة حضرها 50 صحفيا يمثلون مختلف وسائل الاعلام العالمية، وهناك أعلن فرحات عباس انضمامه الرسمي للثورة.⁵

يمكن تصنيف نشاطات أحمد فرنسيس في الثورة الجزائرية على عدة جهات وأصعدة، جهات يغلب عليها الطابع السياسي والدبلوماسي، فهو من ناشط قوي وفعال ضمن الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، إلى دبلوماسي ومفاوض محنك ضد العدو الفرنسي، إلى وزير كفاء ضمن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وهذا ما يمكننا تتبعه وفق العناصر التالية:

1-4. كسب الدعم العربي-الإسلامي والأوروبي للثورة الجزائرية.

وهذا ما نلمسه ضمن الزيارات والرحلات المكوكية التي جاب من خلالها جزء كبير من العالم العربي-الإسلامي، والأوروبي، لكسب الدعم المالي، العسكري، والدبلوماسي للثورة الجزائرية، دعم كانت في أمس الحاجة إليها، وهذا ما يمكن تتبعه في المحطات التالية:

¹ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص 102.

² نفسه، ص 94.

³ أحمد توفيق، المدني: حياة كفاح الجزء الثالث مع ركب الثورة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص-ص 123-128.

⁴ فتحي، الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، ط2، القاهرة، 1990، ص 201.

⁵ عبد القادر، خليفي: أحمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899-1983، دار المحابر، الجزائر، 2013، ص 328.

1-مشارلقته في اجتماع 27 أفريل 1956 الخاص ببلجنة السلاح¹ للنظر في الآليات التي سيتم بها ادخال السلاح إلى الجزائر، عبرالعديد من المعابر الحدودية الجزائرية، وبالتعاون مع بعض الدول الصديقة، ففرنسيس كان حاضرا ضمن اجتماع الوفد الخارجي لجهة ت وضمن جلسة العمل التي جرت بمقر ممثلية ج ع م ج، الكائن برهيج شريف بالقاهرة، قدم فيه أحمد توفيق المدني وأحمد بوداعة عرض حال بنتائج لقاءهما في فندق سميراميس برئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم. الذي أكد فيه استعداد بلاده لدعم الجزائر²، كما أبدى فيه استعداد ليبيا لاحتضان موفدي جهة التحرير.

ولذلك : تقرر ايفاد كل من دباغين والمدني وبمعاوضة كل من فرحات عباس أحمد فرنسيس إلى طرابلس يوم 30 أفريل لمباشرة عملهم التنسيق حول تسليح الثورة، يذكر الربغي هنا سبب هذه الوفادة: وذلك لملاقاة جمعية أمريكية لخصي سمون بالروس البيض المناهضين للشيعوية، بوساطة من بوجملين وبيوض، اللذين أوصيا فرحات عباس وأحمد فرنسيس بقبول مساعدة ه ذه الجمعية من دون اشهار، بدون أدنى مقابل سياسي، وبدون أي التزام من جهة التحرير الوطني³، كما تقرر في هذا الاجتماع أيضا -اجتماع 27 أفريل- تشكيل لجنة تنفيذية من بين رجال الوفد⁴، ويحضر اجتماعاتها عباس فرحات والدكتور أحمد فرنسيس عند وجودهما بالقاهرة⁵. ومما يذكره ربغي عبد الله بخصوص بخصوص هذه الإلتفاتة للرجلين من طرف جهة التحرير: أصبح فرحات عباس وأحمد فرنسيس موجبهين منذ البداية للعب دور سفيرين متجولين لجهة التحرير الوطني⁶.

2-يوم 30 أفريل 1956 انتقل أعضاء الوفد الخ ارجي إلى ليبيا: الدكتور أحمد فرانسيس، أحمد توفيق المدني، الدكتور الأمين دباغين، فرحات عباس، ولقد تكفل كل من فرحات عباس وأحمد فرنسيس بالمساعي السياسية واستقرا بهما المقام في فندق "أكسيلسيور" بينما تكفل توفيق المدني والأمين

¹ ضمت كل من محمد خيضر، محمد الأمين دباغين، فرحات عباس، توفيق المدني، أحمد بودع،

العباس بن الشيخ الحسين، وأحمد فرنسيس. يراجع: حياة كفاح، ج3، ص137.

² عبد الله، ربغي: المرجع السابق، ص106.

³ نفسه، ربغي ص107.

⁴ تضم كل من: أحمد بن بلة، محمد خيضر، أحمد توفيق المدني، الدكتور محمد الأمين دباغين، عبد الرحمان كيوان، أحمد بودع، ويحضر اجتماعات اللجنة عباس فرحات والدكتور أحمد فرنسيس عند وجودهما بالقاهرة. يراجع: حياة كفاح، ج3، ص140.

⁵ أحمد توفيق، المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص140.

⁶ عبد الله، ربغي: المرجع السابق، ص107.

دباغين بمسألة الأسلحة، واستقرا بهما المقام في نزل المهاري، وفي الأخير توجت هذه البعثة بنتائج قيمة، تم التطرق لها في اجتماع القاهرة يوم 07 ماي 1956 لتقييم حوصلة هذه الزيارة¹.

وفي اجتماع آخر للوفد الخارجي بالقاهرة جرى يوم 1 ماي 1956، تم تكليف كل من فرحات عباس والدكتور أحمد فرنسيس بالعودة مجددا لطرابلس لإتمام مهمتهما الخاصة بعملية تسليح الثورة².

3- في يوم 23 ماي 1956 توصل الوفد الخارجي برسالة من التشريفات الملكية مُذيلة بأسماء الوفد الخارجي الذين كان من بينهم الدكتور أحمد فرانسيس، تخبرهم بموافقة الملك السنوسي على مقابلة ممثلي الوفد بطرابلس، وعلى إثر ذلك وبصفة مستعجلة تم تكليف كل من أحمد فرنسيس وفرحات عباس، توفيق المدني ودباغين³، ولقد توجت هذه الوفادة بمكاسب دبلوماسية وسياسية وعسكرية لصالح الثورة الجزائرية.

4- توجهه إلى العاصمة البلجيكية بروكسل رفقة فرحات عباس يوم 26 جوان 1956، لتنشيط فعاليات الندوة الصحفية التي ستقام هناك من طرف فرحات عباس، ندوة كُلف خلالها فرنسيس بالرد على خطاب رئيس الحكومة الفرنسي "غي مولي" في مؤتمر الحزب الاشتراكي المقرر انعقاده في 01 جويلية 1956 في مدينة ليل الفرنسية، لكن المهمة لم تنجز كاملة بسبب منع الندوة من طرف وزارة العدل البلجيكية، لكن هذا لم يمنع عباس وفرنسيس من توزيع نص الندوة الصحفية على الصحفيين، مما ساهم في طردهما من بلجيكا، وحجزهما في غرفتهما بالفندق ثم أقتيدا مباشرة إلى الطائرة المتوجهة إلى جنيف⁴.

5- على اثر الاجتماع الثلاثي الذي ضم كل من "الماريشال جوزيف بروزيتو"، رئيس الحكومة الهندية جواهر لال نهرو" ورئيس جمهورية مصر جمال عبد الناصر في 18 جويلية 56 بمدينة بريوني، والذي نددوا من خلاله بالسياسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر، يكون "تيتو" قد اقترح ضرورة تنظيم لقاء في يوغوسلافيا بين المبعوثين الفرنسيين وممثلي جبهة التحرير.

استغلت جبهة التحرير الوطني هذا المقترح؛ فكلفت أحمد فرنسيس رفقة فرحات عباس بالتوجه إلى مدينة بريوني يوم 20 جويلية، ثم التحق بهما كل من محمد يزيد والدكتور دباغين، وبعد

¹ أحمد توفيق، المدني: حياة كفاح، ج، 3، المصدر السابق، ص144.

² نفسه، ص150.

³ نفسه، ص163.

⁴ عمر، بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1960)، دار الإرشاد، الجزائر، 2013، ص165.

انقضاء ندوة القادة الثلاث في مدينة بريوني توجه كل من فرنسيس وعباس إلى بلغراد للقاء المسؤولين اليوغوسلاف والإشتراكيين الفرنسيين، لقد أخذت المسألة الجزائرية التي نوقشت في بريوني أبعاد خطيرة¹. ولدى عودته في 26 جويلية استمع إليه الوفد الخارجي لج ت و ، بالقاهرة، حيث رأى أنها مبادرة صغيرة سوف تكبر بفضل صلابة الجزائريين ومقاومة جيش التحرير الوطني، ويذكر الريغي أن هذه المهمة شكلت أول تجربة لأحمد فرنسيس في الميدان الدبلوماسي وأصبح بهذا مفاوض ج ت و².

6-حضوره فعاليات جلسة الوفد الخارجي لجمعية التحرير المنعقدة يوم 28 جويلية 1956؛ ويذكر المدني بهذا الخصوص أن فرنسيس عاد في نفس هذا اليوم من سفره، وكان من بين ما تحدث به فرنسيس في هذه الجلسة ما وقع له أثناء اتصاله مع "بيير كومان Pierre Commin"، كما تطرق أيضا إلى نشاطه رفقة فرحات عباس طيلة وجودهما في أوروبا³.

7-بعثته إلى سوريا والكويت: خلال جلسة العمل التي تمت يوم 31 جويلية للوفد الخارجي تم تكليف كل من أحمد فرنسيس، ومن ثمة يتوجه كل من عباس وفرنسيس إلى سويسرا⁴.

ز-على اثر مخرجات مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956، الذي انبثق عنه ما يسمى بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية (CNRA)⁵؛ مجلس يتكون من 34 عضوا: 17 أساسيون، و 17 اضافيون؛ ولقد تم في هذا المجلس تعيين أحمد فرنسيس الذي ينتهي إلى حزب البيان⁶ كعضو ضمن قائمة ال 17 الإضافيون⁷، أو المستخلفون كما ورد ذكرهم في محضر مؤتمر الصومام⁸.

¹ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص109.

² نفسه، ص109.

³ أحمد توفيق، المدني: المصدر السابق، ص175.

⁴ نفسه، ص176.

⁵ Conseil National de la Révolution Algérienne

⁶ نور الدين، حاروش: مواقف بن يوسف بن خدة النضالية والسياسية، قراءة في تاريخ الجزائر

الحديث، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص251.

⁷ بوعلام، بن حمودة: المصدر السابق، ص210، يراجع أيضا: حياة كفاح، ج3، ص243.

⁸ سعد، دحلب: المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 1986، ص234.

يراجع أيضا: محفوظ قداش: وتحررت الجزائر، ترجمة العربي بوينون، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص70.

8-بعثته إلى تركيا رفقة الدكتور لمين دباغين يوم الثلاثاء 16 أكتوبر 1956¹ من أجل الدعاية للثورة، ومطالبة تركيا بتغيير موقفها تجاه القضية الجزائرية، والدفاع عنها أمام هيئة الأمم المتحدة. ولقد كانت هذه الوفادة موفقة ومُبشِّرة حول حسب المدني².

لم تعمّر طويلا رحلة فرنسيس ودباغين إلى تركيا³، بسبب عملية القرصنة التي قام بها العدو الفرنسي لقادة الثورة يوم 22 أكتوبر 1956، فرجعا يوم 27 أكتوبر إلى القاهرة ملء الفراغ السياسي والإداري الذي باتت تعاني منه الثورة في وفدها الخارجي، وقد قرر أعضاء الوفد المجتمعون من اسناد الرئاسة للدكتور دباغين، عملا برسالة قديمة كانت قد وردت عليه من عبان رمضان، ونظم مكتب جبهة التحرير أعماله من جديد.

وما إن حلت السنة الموالية من عمر الثورة 1957، حتى تضاعف نشاط فرنسيس في التعريف بالقضية الجزائرية، وكسب الدعم المادي والمعنوي لها، ومن بين ما تم الوقوف عليه في هذا الشأن: أبعثته باسم الوفد الخارجي رفقة فرحات عباس إلى نيويورك لمعاوضة ممثلي ج، ت، و: محمد يزيد ونائبه عبد القادر شندرلي، ومتابعة أشغال الجمعية العامة التي ستعقد خلال الفترة الممتدة من منتصف جانفي إلى غاية فيفري 1957⁴، وبهذا الخصوص يذكر الأستاذ عمر بوضربة أنه في 15 فيفري 1957 صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على لائحة أوصت بحل سلمي ديمقراطي وعادل، وذلك بالوسائل المناسبة مع ما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة، ولقد أرجع البعض هذا النجاح إلى دور فرحات عباس وأحمد فرانسيس⁵.

ب-تدعيم وتنظيم مكتب جبهة التحرير الوطني بالقاهرة ففي 8 مارس 1957، فبعدما استحدث الوفد الخارجي هيكله أسماها المكتب الخاص ل ج، ت، و بالقاهرة، تشكل من: أحمد توفيق المدني رئيسا، الدكتور أحمد فرنسيس كاتب التنسيق، وعضوية العباس بن الشيخ حسين، حامد روابحية، وعبد الرحمان كيوان، ويكمن دوره في تنفيذ المهمات التي قررت لجنة التنسيق والتنفيذ قيامه بها⁶.

¹ أحمد توفيق، المدني: حياة كفاح، ج 3، المصدر السابق، ص 214. بينما يذكر الباحث عمر بوضربة تاريخ 20 أكتوبر 1956، ص 199.

² نفسه، ص 338.

³ نفسه، ص 220.

⁴ عمر، بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1960)، المرجع السابق، ص 257.

⁵ نفسه، ص 259.

⁶ أحمد توفيق، المدني: حياة كفاح، ج 3، المصدر السابق، ص 286.

ومن بين النشاطات التي قام بها في هذا المكتب تكليفه بإذاعة حديث باللغة الفرنسية في إذاعة صوت العرب¹ إلى جانب عبد الرحمان كيوان²، كما تقرر خلال هذه الجلسة ، تكليف فرنسيس أو عبد الرحمان كيوان اجباريا بموضوع العلاقات مع مصر، وفي هذا الصدد تقدم المدني رفقة فرنسيس أمام اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، التي ستعقد يوم 09 مارس 1957، بصفة ملاحظين³.

ج-بمناسبة أسبوع الجزائر استقبل الرئيس السوري شكري القوتلي في دمشق يوم 15 مارس 1957، وفدا جزائريا يتكون من فرحات عباس، أعمر أو عمرا ن، عبد الرحمان كيوان، العباس بن الشيخ الحسين، عبد الحميد مهري، عمار دردور، محمد الغسييري، وأحمد فرنسيس⁴.
د-بعثته إلى العراق وسوريا: تم تكليفه رفقة عبد الرحمان كيوان بالتوجه إلى العراق في شهر ماي 1957، للقيام بمهمة دعائية، حيث نجحت البعثة في مهامها بعد لقاءها مع رئيس الحكومة العراقية السابق فاضل الجمالي، كما التقى برئيس لجنة تنظيم أسبوع الجزائر في العراق⁵، وعلى اثر نهاية جولتهما بالعراق، تم تكليف فرنسيس ومجموعة من المناضلين بالتوجه إلى دمشق يوم 12 ماي، لكسب تأييد الحكومة السورية وإقناع لجنة أسبوع الجزائر بتسلم مُحصل الأسبوع لرجال الجبهة رأسا، وهو ما كلل بالنجاح حيث تحصل الوفد على مبلغ 235 مليون فرنك كدفعة أولى⁶.
هـ-بعثته إلى إيران وأفغانستان⁷: تم تكليفه بالتوجه رفقة وفد من ج، ت، و إلى إيران يوم 22 ماي 1957، ولقد حضي هذا الوفد باستقبال رئيس الحكومة الإيرانية يوم 27 ماي بحضور السفير السعودي الذي رتب لعقد هذا اللقاء، وقد أكد رئيس الحكومة الإيرانية استمرار دعم بلاده للقضية

¹ تأسست في شهر جويلية 1952 بعد الإطاحة بالنظام الملكي المصري، وقيام النظام الثوري، الذي هدف عبر هذه القناة إلى مناصرة قضايا التحرر، والاستقلال العربي إعلاميا وسياسيا. يراجع: عبد القادر خليف، ص330.

² أحمد توفيق، المدني: المصدر السابق، ج3، ص288.

³ عمر، بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1962)، المرجع السابق، ص-ص205-206.

⁴ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص114.

⁵ عمر، بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1962) المرجع السابق، ص196.

⁶ أحمد توفيق، المدني: المصدر السابق، ص339.

⁷ نفسه، ص339.

الجزائرية، بعد ما سلمه أحمد فرنسيس مذكرة باسم ج، ت، و. ، كما استقبلت البعثة العديد من الشخصيات الإيرانية¹، وعلى اثر هذه الوفادة أبدت هذه الدول تعاطفها ودعمها للثورة الجزائرية. وعلى اثر نهاية زيارته إلى إيران انتقل فرنسيس والوفد المرافق له إلى العاصمة الأفغانية كابل يوم 31 ماي 1957، ولقد حظي الوفد باستقبال رفيع المستوى بهذا البلد، كما تم عقد ندوة صحفية للتعريف بالقضية الجزائرية². وفي سياق هذه الزيارة المزدوجة يذكر المديني أن فرنسيس والوفد المرافق له زاروا الباكستان أيضا لكن لم يشر إلى فحوى هذه الزيارة ولا النتائج التي ترتبت عنها. وبعثته إلى تركيا رفقة عبد الرحمان كيوان يوم 08 جوان 1957، وتعد هذه الزيارة هي الثانية من نوعها لهذا البلد الذي ينتهي للحلف الأطلسي، وعلى الرغم من ذلك تمكن من افتتاح الموافقة المبدئية للحصول على مساعدات للاجئين الجزائريين من الهلال الأحمر التركي، كما قام الوفد بالعديد من النشاطات لصالح القضية الجزائرية³، وبموافقة من الحكومة التركية التي أبدت مرونة في تعاملها مع الثورة الجزائرية.

4-2. تفعيل نشاط ج، ت، و، بالدول الاسكندنافية والأوربية (جويلية-أوت 1957).

أوفدت ج، ت، و، كل من الدكتور أحمد فرنسيس وعبد الرحمان كيوان لزيارة بلدان أوربا الغربية والدول الاسكندنافية، فحطوا رحالهما أولا بالعاصمة الفنلندية هلسنكي في 21 جويلية 1957، ورغم الضغوط الفرنسية التي تعرضا لها، فإنهما تمكنا من الاتصال بالأحزاب والجمعيات المدنية، ومن هلسنكي انتقلا إلى ستوكهولم يوم 28 جويلية؛ وخلال هذه الزيارة نجحا في مقابلة بعض المسؤولين الرسميين مثل السيد "أديلستام" M. Adelstam و اجراء مقابلة عامة مع رئيس الصليب الأحمر السويدي وعضو الرابطة العالمية للصليب الأحمر السويدي في الثاني ن شهر أوت. وفي اليوم الموالي للزيارة تم استقبالهما من طرف الأمين العام للمركزية النقابية السويدية السيد "كارلسن" M. Carlsoon كما كان للبعثة دور كبير في الاتصال بالصحف السويدية، ومن الظفر بترتيب لقاء مع مدير أكبر جريدة يومية إسكندنافية "Dagens Nyheter" السيد "M. Herbert Tengsten" صاحب النفوذ السياسي الكبير في السويد⁴.

¹ عمر، بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص196.

² نفسه، ص198.

³ نفسه، ص199.

⁴ نفسه، ص188.

وقبل ختام جولتهما تمكنا من عقد ندوة صحفية يوم 5 أوت بالفندق الكبير والتي شهدت حضور اعلامي مكثف¹، وما يمكن قوله في الأخير أن هذا النشاط الدبلوماسي الكبير أثمر بوضع أرضية لمثلي ج، ت، و، بهذه البلدان، فعلى اثر عودتهما إلى القاهرة أوفدت ج، ت، و، مباشرة المناضل محمد الشريف الساحلي، رفقة عبد الرحمان كيوان لتمثيلها في الدول الاسكندنافية². وبعد اتمام جولتهما بهذه البلدان توجه فرنسيس إلى بلدان أوروبية أخرى منها:

أبعثته إلى ألمانيا والدنمارك؛ أوفدت ج، ت، و، بالقاهرة كل من أحمد فرنسيس وفرحات عباس بزيارة لألمانيا الغربية خلال شهر سبتمبر 1957، أين تم استقبالهما من طرف رئيس النقابات الألمانية السيد "إيلر جونسن M. Eiller Jensem" ونائب رئيس الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة، ووعدهما بطرح المشكل الجزائري على النقابة الدولية في اجتماعها المقبل في نوفمبر 1957³.

ومن ألمانيا الغربية توجهوا نحو العاصمة الدانماركية كوبنهاجن التي وصلها يوم 16 سبتمبر 1957، حيث تمكن فرنسيس ورفيقه بفضل وسيط دانماركي "مورتسن" من استقبال البعثة بمقر وزارة الخارجية الدانماركية يوم 18 سبتمبر من طرف مسؤول التشريفات "مولر" أين سلماه مذكرة من طرف ج، ت، و، وموجهة لوزير الخارجية، كما تمكنا من لقاء المدير العام للصليب الأحمر الدانماركي، و طلبا منه الاعتراف بالهلال الأحمر الجزائري في مؤتمر نيودلهي للرابطة العالمية للصليب الأحمر الذي سينعقد في أكتوبر 1957، وختما جولتهما بعقد ندوة صحفية⁴، لكسب التأييد والدعم للثورة الجزائرية.

ب- المشاركة في المؤتمر المعادي للاستعمار في أثينا المنعقد من 2-6 نوفمبر 1957، أين شارك وفد ج، ت، و، برئاسة أحمد فرانسيس، وعبد الرحمان كيوان، وبهذا الخصوص تكون قد حققت دبلوماسية الجبهة نصرا جديدا ضد الحركة المصالية التي أوفدت ممثلا عنها لحضور فعاليات المؤتمر فتم طرده من حضور جلساته، كما جلبت إليها انتباه كثير من الدول الصديقة الجديدة⁵.

3-4. المشاركة في المفاوضات السرية الجزائرية-الفرنسية.

¹ نفسه، ص 188.

² عمر، بوضربة: النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سبتمبر 1958- جانفي 1960، دار الحكمة، الجزائر، 2012، ص 294.

³ عمر، بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1962)، المرجع السابق، ص 273.

⁴ نفسه، ص-ص 193-194.

⁵ نفسه، ص-ص 280-281.

لعب الدكتور أحمد فرنسيس دور كبير في المفاوضات غير الرسمية التي كانت جارية بين جهة التحرير الوطني وبين ممثلي الحكومة الفرنسية. ونظرا لصعوبة هذه العملية اختارت جهة التحرير مناضلين مؤهلين للتفاوض مع العدو الفرنسي الذي كان يراوغ ويناور على أكثر من صعيد، لكن حكمة هؤلاء المناضلين فوتت الفرصة على العدو لتحقيق أغراضه وأهدافه الخفية من هذه المفاوضات، ويمكننا تتبع نشاط فرنسيس بخصوص هذه المرحلة من المفاوضات في العناصر التالية:

1- من غير المستبعد أن أول ظهور لأحمد فرنسيس في هذه المفاوضات يعود إلى شهر فيفري 1955، عندما قام الحاكم العام "جاك سوستال" بإجراء اتصالات مع بعض الأحزاب والجمعيات السياسية الجزائرية، حيث كلف رئيس ديوانه "مونتي" للقيام بهذه المهمة، وكان من بين الذين شملتهم اتصالات هذا الأخير من جهة التحرير الدكتور أحمد فرنسيس، وبمعية كل من محمد يزيد و عبد الرحمان كيوان؛ لكن "مونتي" فشل في مهمته كونه كان غير مكلف من الحكومة الفرنسية بالتفاوض مع الجزائريين¹، وبين والدكتور أحمد فرنسيس عن جهة التحرير الوطني، لكنه لم يؤد إلى نتيجة تذكر².

2- يظهر فرنسيس للتفاوض من جديد في لقاء روما بإيطاليا الذي جمع بين كل محمد خيضر وجورج بومبيدو، ثم أعقبه اجتماع فرنسيس في العاصمة اليوغسلافية بلغراد بين كل من محمد يزيد وأحمد فرنسيس، و "بيير كومين" الأمين العام بالنيابة للحزب الاشتراكي الفرنسي³.

وخلال حكم "غي مولي" تعود المفاوضات السرية للواجهة من جديد، حيث كلفت ج، ت، وكل من: الدكتور أحمد فرنسيس وفرحات عباس للقيام بها، ثم التحق بهما كل من لمين دباغين، محمد يزيد⁴، للتفاوض مع الوفد الفرنسي (من حزب غي مولي طبعاً) الذي يرأسه "بيار كومين" Pierre Commin "الأمين العام المساعد للحزب الاشتراكي (SFIO)"، و "بيير هيربورت" من الجانب الفرنسي⁵، وذلك يوم 26 جويلية 1956 في جزيرة بريوني بيوغسلافيا⁶.

¹ نور الدين، حاروش: المرجع السابق، ص 318.

² أحمد توفيق، المدني: المصدر السابق، ص 549.

³ عمار، قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص 186.

⁴ عمر، بوضربة، تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 165.

⁵ يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1400هـ/1980م، ص 459.

⁶ بوعلام، بن حمودة: المصدر السابق، ص 272.

لكن هذه المفاوضات انتهت هي الأخرى بالفشل بسبب تعنت الطرف الفرنسي بموقفه، القاضي بطرح مثلث "غي موللي" للنقاش من جديد، مع العلم أن هذا الاجتماع قد جاء عقب انعقاد مؤتمر بريوني بين الزعماء الثلاثة: عبد الناصر، تيتو، ونهرو¹، كما سبق لنا ذكره. ومما يذكره الباحث عمر بوضربة أن المفاوضات الجزائرين الثلاث وجهوا مذكرة ممضاة من طرف فرحات عباس الدكتور لمين دباغين، الدكتور أحمد فرانسيس، محمد يزيد، إلى الزعماء الثلاثة المجتمعين في بريوني².

وقبل الحديث عن مساهمة فرنسيس في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بoudna الإشارة إلى نشاطين قام بهما في كل من المغرب وتونس قبيل تأسيسها من 29-30 أبريل 1958، وذلك لحضور فعاليات الندوة المغربية بطنجة، حيث تشكل الوفد الجزائري من: أحمد فرنسيس، ومن بين ما تمخض عن هذه الندوة هو تعيين فرنسيس لتمثيل ج ت و ، في مكتب تونس³، وعقب هذه الندوة ان عقدت الثلاثية المغربية بتونس من 17-20 جوان 1958، فشارك فيها أحمد فرنسيس بصفته عضو الأمانة المغربية⁴.

4.4. دوره في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

يمكننا تتبع نشاط الدكتور أحمد فرنسيس في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عبر عهدتين متتاليتين قضاهما في الحكومة بصفته وزير الاقتصاد والمالية.

1.4-4. نشاطه خلال العهدة الأولى: (1958-1959).

كما هو معلوم أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تأسست في 19 سبتمبر 1958 بالقاهرة، والتي حلت محل لجنة التنسيق والتنفيذ⁵، ومن بين الأعضاء البارزين فيها الدكتور أحمد فرنسيس كوزيرا

¹ يحي، بوعزيز: المرجع السابق، ص459.

² عمر، بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1962)، المرجع السابق، ص166.

³ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص117.

⁴ نفسه، ص117.

⁵ عبد القادر، خليفي: المرجع السابق، ص347.

للمشؤون الاقتصادية والمالية¹، وقصد النجاح في أداء وظيفته يكون قد أحاط نفسه بفريق من الموظفين الأكفاء، مثل عباس تركي، سي موسى، محفوظ عوفي، علي بن عبد المؤمن، وبراهم ولما ن، ومما ذكره فرحات عباس في شأن وزير ماليته: لقد كان لدينا الأموال، كان أحمد فرنسيس قد أنشأ خزينة لجهة التحرير الوطني وأعد ميزانية للثروة وطهر ماليتنا، كانت ميزانيتها تبلغ الـ 20 مليار فرنك قديم... كان وزير ماليتنا شحيحا في الأموال العمومية فنظمها... لقد وضع تحت تصرفنا ميزانية دولة حقيقية². وبناء عليه يمكن تتبع دوره في الحكومة المؤقتة خلال عهدها الأولى التي تمتد من 19 سبتمبر 1958 إلى غاية 16 ديسمبر 1959؛ بصفته وزير الإقتصاد والمالية في العناصر التالية:

1- زيارته إلى ليبيا في 12 فيفري 1959، ضمن وفد برئاسة فرحات عباس، عبد الحفيظ بوصوف، أحمد بوداعة، زيارة استلم على اثرها وفد الحكومة مساعدة مالية لصالح ج ت و، من طرف لجنة مساندة كفاح الشعب الجزائري³.

2- زيارته إلى المملكة العربية السعودية يوم 06 مارس 1959، رفقة وفد حكومي برئاسة فرحات عباس وبعضوية كل من كريم بلقاسم، المدني، وكاتب رئيس الحكومة إبراهيم مزهودي، ورغم أن هذه الزيارة يغلب عليها طابع المجاملة فقط، فقد اكتست أهمية بالغة في تزايد دعم المملكة للقضية الجزائرية في المحافل الدولية⁴. وفي خضم هذه الزيارة زار الوفد المدينة المنورة ومكة المكرمة لأداء مناسك العمرة، وفي الثامن من شهر مارس استقبلهم بالرياض الملك عبد العزيز آل سعود الذي أغدق بسخاء كبير على ميزانية ح م ج ج⁵. حيث تعهد الملك بدفع مليار فرنك لحساب الجهة بمكتب دمشق، على أمل أن يتبع يتبع بمقدار آخر⁶. المدني.

¹ سعد، دحلب: المصدر السابق، ص 244 كما يراجع أيضا: بوعلام، بن حمودة: ص 316، أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 3، ص 401. عبد القادر خليفي، ص 348، نور الدين حاروش: مواقف بن يوسف بن خدة، ص 284.

² عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص 126.

³ نفسه، ص 126

⁴ عمر، بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1962)، المرجع السابق، ص 399.

⁵ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص 126.

⁶ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 3، المصدر السابق، ص 414.

- 3-المساهمة خلال شهر مارس في حلحلة الخلاف الذي وقع على الحدود بين جيش التحرير الوطني والجيش التونسي، حيث انتقل إلى تونس رفقة وفد حكومي، ضم كل من محمد يزيد، محمود شريف¹.
- 4-مقابلة الرئيس المصري جمال عبد الناصر بالقاهرة، رفقة كل من فرحات عباس، بن يوسف بن خدة،²؛ مقابلة ثمن من خلالها الدعم المصري للثورة الجزائرية.
- 5-زيارته إلى كل من العراق والكويت التي استمرت من 18-21 أبريل 1959 ضمن وفد حكومي ضم كل من فرحات عباس، كريم بلقاسم، عبد الحفيظ بوالصوف، أين تم استقبالهم من طرف الرئيس العراقي عبد الكريم القاسم، وكانت مساعدة العراق ذات أهمية كبيرة، ومن العراق توجه الوفد إلى الكويت، حيث كانت مساهمة الحكومة الكويتية فعالة³.
- 6- زيارته إلى الخرطوم عاصمة السودان يوم 24 ماي؛ فنظمت الحكومة السودانية استقبالا ضخما لوفد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الذي ضم كل منضم فرحات عباس، أمحمد يزي.
- 7-زيارته إلى عمان يوم 27 ماي 1959 رفقة وفد حكومي ضم كل من المديني، مهري، حيث نظم على شرفهم الملك حسين مأدبة غداء واكتفى بوعوده بتدعيم الدعم والمساندة للثورة الجزائرية.
- 8- مناقشة حق تقرير المصير وتحضير الرد عنه؛ قامت الحكومة المؤقتة بتكليف لجنة تتألف من: محمد يزيد أحمد فرانسيس، مهري، عمر أوصديق، أحمد بومنجل، شوقي مصطفى، لصياغة بيان يوم 1959/09/22، بيان تمت مناقشته من طرف اللجنة الصياغة، وصيغ بشكل النهائي يوم 23 سبتمبر في اجتماعي 23-24-25 بحضور وزير الخارجية المستقيل لمن دباغين.
- 4-4.2. نشاطه خلال العهدة الثانية (1960-1961):
- عرفت الحكومة المؤقتة تغييرا طفيفا في تشكيلها الثانية؛ التي تمخضت عن انعقاد (في موفى شهر ديسمبر 1959 وإلى غاية 18 جانفي 1960)؛ غير أن أحمد فرنسيس حافظ على نفس منصبه وهو وزير المالية والشؤون الاقتصادية⁴، فواصل نشاطه ضمن فعالياتها بكل جد وحزم خاصة فيما تعلق بتوفير الدعم المالي للثورة الجزائرية من الدول الصديقة والشقيقة، وسبل الحفاظ عليه. يمكننا تتبع أهم نشاطاته في هذا الجانب خلال عهدها الثانية في الحكومة المؤقتة التي تمتد من 18 جانفي 1960 إلى غاية شهر أوت 1961 ضمن العناصر التالية:

¹ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص127.

² نفسه، ص127.

³ نفسه، ص128.

⁴ سعد، دحلب: المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، المصدر السابق، ص245.

1- زيارته إلى بكين عاصمة جمهورية الصين الشعبية، في 30 أبريل 1960 حيث كان ضمن تشكيلة الوفد الحكومي بقيادة كريم بلقاسم رئيس المجلس، وزي الخارجية، عبد الحفيظ بوالصوف، دحلب، الأمين العام لوزارة الخارجية ونائبه الأستاذ مبروك بلحسين، وعلي بن عبد المؤمن من ديوان وزارة المالية، فحظي وفد الحكومة باستقبال كبير، وللعلم أن الصين كانت أول بلد شيوعي يعترف به ح م ج¹. وقدمت للوفد مساعدات متعددة، تشمل الأسلحة، المواد الغذائية، والطبية.

2- زيارته إلى كل من الفيتنام وكوريا الشمالية في الفترة ما بين 04-13 ماي 1960، حيث حظوا باستقبال ودعم كبير بالسلع والبضائع الموجهة للاستهلاك، كما تعرفوا على تجربة الفيتناميين في القتال ضد الفرنسيين، ومن الفيتنام توجه الوفد إلى كوريا الشمالية التي دام مكوثهم بها من 10-13 ماي.

وللعلم أن وفد الحكومة المؤقتة عرّج بعد هذه الجولة مرة أخرى على الصين، حيث تم التوقيع على اتفاقيات تعاون مع الحكومة الصينية، كما تم استقبالهم من طرف الرئيس الصيني ماوتسي تونغ في 17 ماي 1960.

3- زيارته إلى موسكو يوم 20 ماي 1960. رفقة وفد حوكمي؛ وعلى الرغم من الإستقبال المحتشم من طرف قيادة اتحاد جمهوريات السوفيياتية الاشتراكية؛ إلا أنها منحت لهم في الأخير مساعدة مالية قدرت بـ 5 ملايين دولار. وبعد أربعة أيام قضاهما الوفد بموسكو عاد إلى القاهرة يوم 24 ماي 1960.² لكن حنكة وحكمة قادة الوفد تكون قد أقنعت الحكومة السوفيياتية بعد هذه الزيارة بالإعتراف الفعلي بالحكومة م ج ج، وهو ما تم فعلا في نوفمبر 1960.

4- يذكر ريغي مشاركة فرنسيس في المفاوضات السرية بوساطة سويسرا حضور الدورة القادمة للجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك التي تبدأ من سبتمبر -ديسمبر 1960 فتوجه وفد عن الحكومة المؤقتة للمرافعة ترأسه كريم بلقاسم يتكون من أحمد فرنسيس وزير المالية، أحمد يزيد وزير الأخبار، عبد القادر شندرلي، وسعد دحلب، أحمد بومنجل، ومحمد الصديق بن يحي، ونظرا لنشاط الوفد الذي أسمع صوته صادقت ج ع أ م على قرار حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بموافقة 63 صوتا، اعتراض 8، امتناع 27. ريغي، ص 144. المجاهد رقم 76، 5، جانفي 1961؟؟؟.

5- زيارته إلى تشيكوسلوفاكيا خلال شهر فيفري 1961 رفقة وفد حكومي ضم كل من سعد دحلب الأمين العام لوزارة الخارجية، وبعد براغ زارا مصنع سكودا بـ "بلسن".³

¹ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص 132.

² نفسه، ص 134.

³ نفسه، ص 134.

6- زيارته إلى صوفيا يومي-28-29 مارس 1961 على رأس وفد جزائري، أين نجح في التوقيع مع الحكومة البلغارية على اتفاق يتضمن مساعدة مالية قدرها مليون دولار و أطنانا من المواد الغذائية والألبسة، لاسيما العسكرية منها، لصالح الحكومة المؤقتة.

7- زيارته إلى يوغوسلافيا في أبريل 1961 رفقة وفد حكومي ضم كل من بن طوبال، بوالصوف، محمدي، مهري، يزيد، زيارة كللت بعقد لقاء تاريخي مع المارشال "جوزيف بروز تيتو" يوم 12 أبريل¹.

8- المشاركة في مفاوضات ايفيان التي تم الشروع فيها يوم 20 ماي 1961، وتألف وفد جبهة التحرير من السادة: كريم بلقاسم² بصفته نائب رئيس الحكومة المؤقتة ووزير الشؤون الخارجية ترأس الوفد الجزائري³، وعضوية كل من: أحمد فرنسيس وأحمد بومنجل، ومحمد الصديق بن يحي، وسعد دحلب، وقايد علي، وعلي منجلي⁴، ويضيف يحي بوعزيز الكومندان سليمان إلى هذا الوفد، ورضا مالك الناطق الرسمي باسم الوفد⁵، بينما ترأس الوفد الفرنسي "لويس جوكس" ولقد جرت هذه المفاوضات كما يذكر المجاهد عمار قليل في جو من الحذر وعدم الثقة خصوصا وأن "ديغول" كان مصرا على اقتطاع الصحراء⁶.

قصد تحضير ملف المفاوضات بناء على طلب المارشال تيتو الذي تم في اجتماع في 12 أبريل 1961، قدم الدكتور أحمد فرنسيس عرضا عن حالة المفاوضات الجزائرية-الفرنسية عرظ مطولا. يمكن مراجعته كاملا في الكتاب الموسوم بأحمد فرنسيس (1960-1910) ص 146-151. ولتحضير المفاوضات لثلفت الحكومة م ج ج لجنة برئاسة فرنسيس بتكوين ملف حقيقي

ومما رواه رضا مالك "في يوم 20 أبريل عهدت الحكومة المؤقتة بتحضير ملف المحادثات المقبلة مع الحكومة الفرنسية لأحمد فرنسيس، وفي وقت قصير رفعت اللجنة تقريرها إلى الحكومة ن في أجل 29 أبريل 1961، وبعد أن تشكل وفد التفاوض توجه إلى تونس ومنه إلى جنيف بسويسرا، يوم 18 ماي 1961، ترأسه كريم بلقاسم، نائب رئيس المجلس ووزير الشؤون الخارجية، سعد دحلب الأمين العام لوزارة الخارجية، أحمد بومنجل مدير الشؤون السياسية لوزارة الإعلام، الرائد أحمد قاد، علي منجلي من هيئة الأركان العامة لجيش التحري، الطيب بولحروف ممثل ج ت وبروما، محمد

¹ نفسه، ص 134.

² عمار، قليل: ج3، المصدر السابق، ص213.

³ نور الدين حاروش: المرجع السابق، ص337.

⁴ نفسه، ص337.

⁵ يحي، بوعزيز: المرجع السابق، ص467.

⁶ عمار، قليل: المصدر السابق، ص213.4

الصادق بن يحيى مدير ديوان رئيس الحكومة م ورضا مالك المكلف بالعلاقات الخارجية مع الصحافة¹. وخلال الفترة الممتدة من 9-27 أوت 1961 اجتمع المجلس الوطني للثورة بطرابلس، أين أثبتت بعض المسائل المتعلقة بسير الثورة وبالتحضير للمفاوضات مع الفرنسيين، كما طرحت مسألة إعادة تجديد الحكومة المؤقتة المنتهية عهدها، لكن هذه المرة لم يظهر لنا أحمد فرنسيس في تشكيلة الحكومة الجديدة. وهو عنصر يحتاج إلى طرح مجموعة من التساؤلات التي لا يسعنا المقام في الإجابة عنها.

5- دوره في الثورة التحريرية خارج الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية:

رغم رفض أو بالأحرى إقصاء أحمد فرنسيس من عضوية الحكومة خلال هذه الفترة، إلا أن هذا لم يمنعه من مواصلة نشاطه ودوره في خدمة الثورة الجزائرية على نفس الوتيرة السابقة، وهذا دليل قطعي على أن فرنسيس لم يكن يطمح في المناصب وأن نضاله في الثورة الجزائرية كان مرتبطا بهدف نبيل وهو البحث عن تحقيق الحرية والإستقلال لبلده؛ ومقارعة العدو الفرنسي بشتى الطرق والأساليب. وهذا الحس الوطني والمستوى العالي الذي ظهر عليه فرنسيس؛ جعل من رفاقه في الكفاح والنضال السياسي العسكري اشراكه في مواصلة مسيرة الكفاح الدبلوماسي والسياسي. وهذا ما يمكن الوقوف عليه ضمن الأدوار التالية:

1-5. حرصه على عدم تبذير المال العام.

حسب ما ذكره الدكتور أبو القاسم سعد الله هو حرص وزير المالية أحمد فرنسيس على عدم تبذير المال العام، والشاهد في ذلك: على اثر الخلاف الذي وقع حول الجهة التي كان من حقها إيرادات الفريق الوطني لكرة القدم -الذي سبق تشكيله في تونس- بين وزير الداخلية ووزير المالية². حيث قرر وزير المالية صب إيرادات الفريق الرياضي في حسابها في البنك العربي المحلي لاستعمال المال العام بالعملة المحلية، وقد برر ذلك بأن نقل النقود من بلد إلى آخر يشكل مغامرة، كما أن تحويل النقود من عملة إلى أخرى يترتب عليه خسارة فروق العملة، ولقد قام الوزير بكتابة رسالة بهذا الخصوص إلى الشيخ محمد الغسيري لكي يقوم بتوزيعها على المكاتب العربية، كما وجه نسخ منها إلى رئيس الوزراء والداخلية والخارجية³.

¹ عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص152.

² أبو القاسم، سعد الله: المرجع السابق، ص247.

³ نفسه، ص248

هذا إلى جانب حرصه الشديد على مطالبة ومخاطبة لثير من القيادات العربية، والمؤسسات على ضرورة دفع مخصصاتها لإعانة الحكومة الجزائرية، وبهذا الصدد يذكر المدني أنه اتصل برفقة أحمد فرنسيس بالأمين العام لجامعة الدول العربية، وحرصا منه على وجوب دفع بقية ميزانية الجزائر¹، كما يذكر أيضا جولته في العديد من البلدان العربية رفقة فرحات عباس وكريم بلقاسم وأحمد فرنسيس وزير المالية، وبإبراهيم مزهودي مدير ديوان رئيس الحكومة المؤقتة.

2-5. المشاركة في عضوية المجلس الوطني للثورة.

أثناء تحضير اجتماع المجلس الوطني للثورة المقرر من 20-28 أوت 1957، حيث بات يتكون من 54 عضوا بدلا من 34، حيث جددت عضويته في المجلس وظل فيها إلى غاية جويلية 1962.² يعود ظهور الدكتور أحمد فرنسيس من جديد كعضو في المجلس الوطني للثورة في الاجتماع الذي تقرر انعقاده ما بين 22-27 فيفري 1962، أين تمت دعوة أعضاء المجلس للتصويت على لائحة وقف إطلاق النار³، ويذكر المجاهد لخضر بورقعة في شهادته أن أحمد فرنسيس امتنع عن المشاركة في هذا الاجتماع إلى جانب كل من أحسن قادري ومصطفى الأشرف⁴.

3-5. المساهمة في حلحلة أزمة صائفة 1962.

يذكر ريغي عبد الله أنه بعد انعقاد المجلس الوطني للثورة في 7 جوان 1962، كان أحمد فرنسيس في سويسرا برفقة فرحات عباس، وعلى اثر الخلافات التي بدأت تطفو إلى السطح رأيا ضرورة عوتهما إلى الجزائر بسرعة للمشاركة في حللته. ففي الوقت الذي قدم فيه أحمد بن بلة من مصر عبر مسارتونس-المغرب-تلمسان، توجه أحمد فرنسيس رفقة أحمد بومنجل للقاءه، حيث تزامن ذلك مع قدوم فرحات عباس الذي وصل تلمسان يوم 16 جويلية 1962.

خلال الأزمة التي عصفت بالجزائر 1962، سعى فرنسيس إلى محاولة تقريب وجهات النظر بين الفرقاء، حيث كان يتنقل بين قادة الثورة ويجري اتصالات مع البعض، هنا وهناك، وخلال 11 جويلية 1962 وجدناه يتجه إلى تلمسان رفقة محمد خيضر وفرحات عباس وبن بلة والعقيد عثمان قائد الولاية الخامسة⁵، تحضيرا لاجتماع قادة الولايات الذي حضره قادة الولايات المساندة لبن بلة: الولايات 1، 5، 6.

¹ أحمد توفيق، المدني: المصدر السابق، ص 410.

² عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص 115.

³ بن يوسف، بن خدة: المصدر السابق، ص 58.

⁴ لخضر، بورقعة: شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 1990، ص 88.

⁵ نور الدين، حاروش: المرجع السابق، ص 398.

وفي يوم 22 جويلية وبمدينة تلمسان يعلن عن تأسيس المكتب السياسي بحضور بن بلة وفرحات عباس وخيضر وفرنسيس وبومدين والعقيد عثمان، والزييري وشعباني والرائد سليمان (القايد علي) والحاج علا. لكن لم تلتحق الولاية، 1، 3، لكنه أخفق في الوقت الذي أعلن فيه بوضياف موقف آخر من هذه التطورات، التي كادت أن تدخل البلاد في حرب من جديد، لكن حكمة المناضلين المخلصين حالت دون ذلك، وتم الاتفاق على مخرج سلمي لحل هذه الأزمة التي عرفت أزمة صائفة 1962.

تم تشكيل المكتب السياسي بناء على توةصيات المجلس الوطني للثورة وتم الدعوة إلى اجراء انتخابات تشريعية، انتخابات أجلت لأكثر من مرة بسبب الخلافات، وبخصوص موقع فرنسيس الموالي حينها لبن بلة قد تم اقتراح ترشيحه للمجلس التأسيسي في عمالة مستغانم باسم جبهة التحرير الوطني.

4-5. المساهمة في تأسيس المجلس التأسيسي الجزائري.

ولعل آخر موقع احتله أحمد فرنسيس قبل انتخاب الرئيس أحمد بن بلة هو المساهمة في تأسيس هذا المجلس، وبعضيته فيه فيما بعد¹، هذا المجلس الذي تأسس في 20 سبتمبر 1962، وبات يضم 196 عضوا، ولقد أفرزت الانتخابات التي قام بها أعضاء المجلس على اختيار فرحات عباس رئيسا له، وألقى فيه أول خطاب له في تاريخ 25 سبتمبر 1962²، وعيّن من خلاله مجموعة من الشخصيات ضمن هذا المجلس من بينهم أحمد فرنسيس المحسوب دائما على حزب فرحات عباس.

6- المشاركة في الحكومة الجزائرية المستقلة ونشاطه فيها.

تشكلت هذه الحكومة في 27 سبتمبر 1962 بمرسوم رئاسي مُنحت من خلاله حقيبة المالية³، للدكتور أحمد فرنسيس، فواصل كعاداته وبخبرته الطويلة والمريرة تلبية نداء الواجب الوطني لتقديم مايراه مناسب وأفضل للجزائر المستقلة، كيف لا وهو الذي كان ينتظر الفرضة السانحة ليرى نتائج جهوده الدبلوماسية والسياسية تتحق على أرض الواقع بنيل الحرية والإستقلال؛ ومن بين الأدوار أو بالأحرى المهام التي أنجزها لصالح الحكومة الجزائرية:

1- خلال المشاورات والاجتماعات التي كانت تعقدها هذه الحكومة لمواجهة مخلفات الاستعمار الفرنسي، وقفنا على خطاب مطول للدكتور أحمد فرانسيس، أثناء حديثه عن تقريره المالي أمام أعضاء المجلس الوطني التأسيسي المنعقد في دورته الأولى يوم 29 ديسمبر 1962، ومن خلال قراءتنا لمضمون تقريره نجد بأن أحمد فرنسيس قدم مجموعة من الحلول الناجعة والهادفة لمواجهة العوز

¹ بوعلام، بن حمودة: المصدر السابق، ص 610.

² عمار، قليل: ج3، المصدر السابق، ص 321.

³ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 351.

المالي الذي واجه الجزائر عشية الاستقلال، حلول تنم عن مستوى فكري جزائري جدير بكل ثقة وتقدير واحترام، حيث نجده دائما يقدم حلولاً مناسبة في نظرنا وفي متناول حكومة الاستقلال بعيداً عن الارتباط بالعدو الفرنسي، أي بمعنى أن فرنسيس كان يريد القطيعة النهائية مع عدو الأمم، لكن يبدو أن البعض لم يستسغ حلول واقتراحات فرنسيس ورأها ضرباً من الخيال والجنون، وهذا حتى لا تضيع على هؤلاء فرصة الإرتباط الوثيق والمستمر بعدو الأمم كما يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله¹.

2-قصد النجاح في مهامه اختار مجموعة من الموظفين الذين لهم اضطلاع وخبرة بالشؤون المالية، فشكّل لذلك ديوانه بموجب قراره الصادر في 12 جانفي 1963 الذي ضم كل من: علي بن عبد المؤمن رئيساً للديوان، محمد بودرياس مديراً للديوان، سعيد شريف بن الحاج ومحمد سي موسى مستشارين تقنيين وعلاوة بن حبيلس².

2-اصدر فرنسيس في انتظار انشاء عملة خاصة بالجزائر مرسوم، 62-158 المؤرخ في 13 ديسمبر 1962. المتضمن الإبقاء على تداول واصدار أوراق البنك المركزي الجزائري، في انتظار استقرار الأوضاع.

3-الشروع في انشاء البنك المركزي بموجب القانون 62-144 المؤرخ في 13 ديسمبر 1962، عين فرنسيس محافظه الأول الصغير مصطفى ومديره العام الأول بوعسرية بلغولة، كما نصّب ادارة الخزينة العامة والقرض، وعيّن بموجب المرسوم المؤرخ في 15 فيفري 1963 أول مدير لهذا الجهاز وهو يوسف حاج حمو كما أصدر قراراً بتاريخ 23 جانفي 1963 يقتضي كليف مصطفى عبد الرحيم بمراقبة المالية للجزائر³.

4-اعداد قانون المالية الذي تم نشره في الجريدة الرسمية رقم 63-110، المؤرخ في 12 أفريل 1963، كما عالج مسألة الإصلاح البلدي، عكس ما كان قائماً في العهد الاستعماري، ولتحقيق هذا الغرض أصدر المرسوم رقم 63-189 المؤرخ في 16 ماي 1963 والمتعلق باعادة التنظيم الاقليمي البلدي ومواصلة لوضع آليات ضرورية لإرساء قواعد إدارية مالية⁴.

5-اصدار نص تنظيمي وفق المرسوم المؤرخ في 2 جويلية 1963، المتضمن تعيين متصرف صندوق التأمين واعادة التأمين، والشاهد في ذلك التصريح الذي أدلى به لأسبوعية "Atlass Algerie" حيث أوصى

¹ يمكن مراجعة نص بيان الدكتور أحمد فرنسيس في ملحمة الجزائر الخالدة، ج3، ص-ص376-390.

² عبد الله، ريغي: المرجع السابق، ص174.

³ نفسه، ص 175.

⁴ نفسه، ص 177.

بمايلي: يجب العمل أكثر والإنفاق أقل، ليس الأمر بالعسير، قال البعض، وعلى أية حال، هناك بديهيات ينساها البعض في أغلب الأحيان ولا يتذكرونها إلا عندما يطرق الإفلاس أبوابهم¹. وعلى اثر الخلاف الذي برز على اثر تقديم ورقة الدستور من طرف المكتب السياسي لجهة التحرير الوطني، قدم فرحات عباس في 12 أوت استقالته من رئاسة الجمعية التأسيسية، وظل صديقيه فرنسيس وبومنجل أعضاء في الحكومة، حكومة لم يكن متفق معها في مسألة تسيير الشؤون المالية للبلاد، في الوقت الذي كان يعاني فيه كثير من الأتعاب الصحية، ولذلك توجه في نهاية جويلية 63 إلى سويسرا قصد العلاج، وبعد الأحداث التي عصفت بالبلاد كالإلقاء القبض على محمد بوضياف والزج به في السجن، ازدادت مخاوف فرنسيس من العودة العاجلة لأرض الوطن، ومن دون أن تُعطى له فرصة لاستمرار العلاج قام الرئيس أحمد بن بلة بإصدار مرسوم مؤرخ في 63-289 يكلف بموجبه وزير العمل والشؤون الاجتماعية البشير بومعزة بتولي نيابة وزير المالية. وخلال فترة نقاهة فرنسيس بسويسرا، أعلن بن بلة يوم 04 سبتمبر 1963، والتي أسند من خلالها وزارة الاقتصاد الوطني للبشير بومعزة².

7-وفاته.

على اثر عودته من سويسرا عاش فرنسيس بقية حياته بالجزائر العاصمة كمواطن عادي، محبوبا بين المواطنين؛ واعتزل السياسة بعد أن شعر بسياسة الإقصاء الممارسة ضده، كما كان بعيدا عن رياح التغيير التي عصفت بالبلاد على غرار انقلاب العقيد هواري بومدين على الرئيس أحمد بن بلة، وتمرد الزبيري على بومدين، كان دائم التنقل بين الجزائر العاصمة وسويسرا للعلاج، وبعد أن ألم به المرض اختار البقاء في سويسرا للعلاج إلى أن وافته المنية في 31 أوت 1968 بعد معاناة كبيرة مع المرض³. أما بخصوص مؤلفاته أو تراثه المخطوط، فيذكر لنا أبو القاسم سعد الله بشأنه: وهناك أطباء انظموا إلى الثورة وساهموا فيها وهم أصحاب اختصاص أو هم طلاب، ومنهم الدكتور ابن زرجب، والدكتور دباغين، والدكتور فرنسيس والدكتور هدام... وعشرات وغيرهم كانوا في الميدان السياسي أو في ميدان المعركة نفسها، ولا نعرف أن هؤلاء أو بعضهم كتبوا تجاربهم بعد الثورة أيضا ما عدا جمال الدين بن سالم⁴.

¹ نفسه، ص 177.

² نفسه، ص 179.

³ <https://ar.wikipedia.org/> وأعيد الساعة 23.00 مساء، وأطلع عليه في تاريخ 01 سبتمبر 2018، في الساعة 18.00 زوالا. الاطلاع عليه في تاريخ 30 سبتمبر 2018

⁴ أبو القاسم، سعد الله: المرجع السابق، ص 628.

خاتمة. مما سبق ذكره نخلص إلى النتائج التالية:

-موقعه في الذاكرة الوطنية: من خلال عملية البحث التي قمنا بها بصدد اعداد هذا المقال؛ وجدنا أن موقع هذا المجاهد والمناضل الكبير، يكاد يكون مُنعما تماما، فالمؤلفات التاريخية (الحركة الوطنية، محفوظ قداش، الكفاح القومي والسياسي لعبد الرحمان العقون، الثورة الجزائرية لبوعلام بن حمودة، ليل الاستعمار لفرحات عباس..الخ، وحتى في بعض المقالات التي كتبها أقرانه عن معركة المفاوضات لا تكاد في معظمها تخصص له ولو فقرة واحدة للحديث عن نضاله وكفاحه المستميت ضد العدو الفرنسي.

وخير مثال على ذلك المقال الذي كتبه رضا مالك عن مفاوضات ايفيان¹. رغم أن هؤلاء يعرفون الرجل معرفة جيدة، وحتى الرسائل الجامعية الأكاديمية التي حاولنا استنباط معلومات عن فرنسيس لم نكاد نعثّر على ما يفي بالغرض، أما الكتاب المدرسي فحدّث ولا حرج، وكذلك الحال في الدوريات مثل مجلة أول نوفمبر، الراصد، حوليات المؤرخ..الخ، ويبقى السؤال المطروح هنا هو: هل أن الدكتور أحمد فرنسيس غائب أم مغيب هو الآخر عن الذاكرة الوطنية الجزائرية؟

-على الرغم من البيئة الثقافية والاجتماعية التي عاش فيها فرنسيس، وهي بيئة متقلبة جدا وكل شيء فيها يدعو للانحلال والذوبان في الحضارة الغربية، والإقتداء بها في كثير من الجوانب، فإنّه ظل شامخا ومعتزا بانتمائه لوطنه وبني قومه، فلم يطلب جنسية فرنسية، ولم ينادي بالإدماج على غرار كثير من المثقفين الجزائريين الذين لم يصمدوا أمام تيار الحضارة الغربية الجارف، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن فرنسيس من طينة خاصة، ومن معدن الوطنية النفيس، الذي لم يتغير طيلة مسار حياته ونضاله، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتزاز والافتخار به.

-يمكن القول بأن الدكتور أحمد فرنسيس كان يعمل في صمت وفي هدوء تام، بعيدا عن كل الأضواء والمهرجانات، كما لم يكن مُعجبا بنفسه بقدر ما كان معجبا بوطنه وببني جنسه، فعمل في صمت ورحل في صمت، وعاش غريبا بين قومه ومات غريبا عن قومه، وما دام الدكتور أحمد فرنسيس لم يذكره الأحياء والمقربين منه والمعاشين له، فكيف يذكره جيل اليوم، الذي لا يعرف عنه إلى القليل، إن لم نقل يجهله تماما. وعليه فمقالنا هذا يكون قد أزال غبار الغفلة والنسيان عن هذا الرجل.

-على الرغم من التجاذب الحاصل في تيارات الحركة الوطنية بين الإصلاح والإدماج والمساواة والاستقلال، فأحمد فرنسيس لم يكسب عدا لأحد، ولم يناصر أحد على حساب الآخر، كما لم يكن مُتطرفا في رأيه، بقدر ما حاول الجمع بين هذه التيارات وتقريب وجهات نظرها قدر المستطاع كونه كان

¹ رضا، مالك: "مفاوضات ايفيان أو المسيرة الوطنية نحو النصر"، المصادر، العدد 5، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

يدرك فعلا هوة الخلاف القائمة بين هذه التيارات وسياسة فرنسا -فرق تسد- القائمة على ضرب هذه التيارات ببعضها البعض.

وعليه ففرنسيس كان مثقفا واعيا وبعيد النظر، يُظهر نفسه بأنه جزء لا يتجزأ من هذه التيارات ما دام الهدف واحد والاختلاف فقط في وسيلة الوصول إليه، ولذلك ظل محبوبا ومُقربا ومُستشارا في كثير من القضايا من طرف قيادات وزعماء هذه التيارات، طيلة مسيرة نضاله التحرري. -على الرغم من أن الدكتور أحمد فرنسيس خريج المدرسة الفرنسية، وعاش ردحا من الزمن في الوسط الطلابي الباريسي، إلا أن هذا لم يقف حجر عثر أمام عزيمة وقوة شكيمته في التغلب على تيار الجاذبية الذي كانت تتبناه جماعة النخبة الفرانكفونية على غرار فرحات عباس والشريف بن حبيلس... الخ، وهذا يعكس لنا ملمحا آخر من ملامح فشل المدرسة الفرنسية مع ثلة من الرجال الوطنيين المخلصين، الذي انتصروا على هذه المدرسة واستغلوها أحسن استغلال كوسيلة لخدمة القضية الجزائرية، فما أحوجنا نحن اليوم إلى مثل هاته النخب المثقفة باللغة الفرنسية ولكنها وطنية حتى النخاع.

-منذ التحاقه بالوفد الخارجي بالقاهرة لم يتوان الدكتور أحمد فرنسيس في القيام بواجبه على أحسن ما يرام، وفي الالتزام بتوجيهات رئيس الوفد، دون كل وملل وضجر، بل وجدناه صابرا محتسبا، حيث كان لا ينتهي من سفيرة دبلوماسية إلا وينطلق في سفيرة أخرى كانت تنتظره، فلقد كان مناضلا مخلصا ووطنيا غيورًا، طيب النفس، هادئ الطبع، كوننا لم نقف على أي تبرم أو تدمر ونفور لنشاطه طيلة المدة التي كلفته بها جبهة التحرير، كما كان بعيدا عن الخصومات والانشقاقات التي كادت أن تعصف بالثورة، هذا وبعد الاستقلال رضي فرنسيس بالمنصب الذي أوكل له، ولم ينخرط في تيار المعارضة على غرار بعض أقرانه ضد منظومة الحكم بعد الاستقلال.

ومقابل ذلك وبفعل كفاءته العلمية، وإتقانه للعديد من اللغات العالمية، وإطلاعه الواسع

على مجربات الأحداث من حوله، وقوة شخصيته، فلقد كان جسورا شجاعا، في تعامله مع العدو الفرنسي، عارفا بخباياه ومناورات الدبلوماسية والسياسية، حيث ظل الدكتور أحمد فرنسيس رفقة مجموعة من المناضلين طيلة معركة الدبلوماسية والمفاوضات الجزائرية الفرنسية بمثابة الشوكة في حلق الفرنسيين، ومما وصفه به فتحي الديب: يعتبر أذكى شخصية، واسع الأفق، صلب المراس، هادئ الطباع، عميق التفكير، لا يوافق على مبدأ قبول حل وسط¹؛ ولذلك يمكن عدّه في نظرنا رجل الدبلوماسية الجزائرية بامتياز خلال الثورة التحريرية.

¹ فتحي، الديب: المصدر السابق، ص393.

